

العناصر التي خدمت كتاب كليله ودمته

بقلم نسيم نصر

عبد الله بن المقفع فارسي المولد والنزعة والثقافة ، عربي النشأة والبيئة والأدب . زرادشتي أسلم ، ولكنه ظل متهمًا بالزندقة .

رجل نبيل الخلق ، حسيص العقل جريء القلب واللسان . عرفت له آثار في الفلسفة والاجتماع والتاريخ والأدب .

ابن المقفع طليعة كتاب الحرف العربي في دروب الفكر ، بعيدا عن دواوين الملوك والحكام ، وقيود المصالحين الحكماء في النظم السياسية والإدارية والاجتماعية .

رائد الفكر العربي في رحاب هذا المثلث الذي نهل من موارده رواد الكلمة العربية ، في العصر العباسي الأول . وهو المثلث : اليوناني - الفارسي - الهندي .

رجل مات ضحية جرائه في سبيل اعلان كلمة الحق ، واعلاء صوت الحكمة ، في دولة عربية ساعد في وضع اساسها شعوب غير عربية ما لبثت ان صلت بفتنة سوا وعلمنا في تقويض تلك الاساس ، فاعترف تلميذا ذلك بالشعبوية .

ولكننا ، في هذا الحديث ، مع شعوبي ، ان صح ان كان كذلك ، اتاح للعربية ان تأخذ طريقها الى جواد من الادب الجافل يقيم الانسان الناضج المعطاء . وهكذا تكون الشعبوية الادبية رافدة من روافد الفن والفكر في ادب العرب .

ولكي نقيم الدليل على هذا التضحي المعطاء نتناول ، من كتبه ، الكتاب الذي عرف آية من قرائد دنيا الكتاب ، وهو كليله ودمته .

ان تقف طويلا لكي نحصي القول : هل هو كتاب مترجم ام موضوع ، وانما تكفي بالترجيح القائل انه مترجم في بقعه وموضوع في البعض الآخر ، ولكنه ، وقد تصرف فيه ابن المقفع تصرف المؤلف الواضع ، وقد ما كان من اصل له غير عربي ، اصبح المؤلف والكتاب اسمين متلازمين يعرف أحدهما بالآخر ويشتهر بشهرته ، ويختصر قديرهما في نطاق الادب العربي . فما هو هذا الكتاب ؟ هو كتاب اعتمد فيه المثل الخرافي اعتمادا جعل منه عالما حائلا بالتعاليم الاخلاقية والاجتماعية والسياسية . واذا بهذه المتعارفات البشرية والذوق الغامر من المركب الانساني تطبع هذا الكتاب بطابع ميزه في نوعه بخصائص كتبت له الخلود . واذا بهذا الكتاب يتناول الإنسان بكامله . او

ليس الانسان المعنوي هو العاطفة والعقل والخيال ؟ وعلى دنيا هذا المركب الانساني الزاخر بالحياة والحركة يشرف ذوق اديب حكيم فيه من مقومات البناء الفطري صفاء الانسجام في الاجزاء وتناغم المؤلف بين اللفظ والمعنى . وهكذا تجد بين يديك كتابا يتيق جموح العاطفة وجفاف العقل اذ يمزج ما بينهما بصور رائعة تثب معانيها الى الذهن وثيا ليقا رقيقا . فاذا بالمركب اللفظي يصبح تعبيراً عن الحق والجمال اللذين اثبتت قوى الكتاب تطلبهما في جنبات الوجود عن طريق التفاعل الكلي . وفي حصى المضي في هذا التفاعل تنصهر معاني الحياة في جسد الكاتب فتزدهج المعاني لتتدافع في اخراج فيه من مرهف الحس بقدر ما فيه من حدة الذهن ونفوذ البصيرة وصفاء الضمير . ولئن كان ما ذكر من ان ابن المقفع له كتاب مترجم عن الفلسفة اليونانية اسمه « انا لوطيفا » ، أي تحليل القياس ، غير صحيح فيكون هذا التحليل القياسي حقيقة ماثلة في كليله ودمته ، ويكون جانب كبير من « الانابنيسم » اليونانية قد جاء في دفتي كتاب صغير اكم كبير القيمة . فعلام قامت هذه القيمة الكبيرة . في هذا اكم الصغير ؟ لهذا الكتاب مقومات تجمع نسي اربعة عناصر هي : الموضوعية المركزية ، والرمزية المنطقية ، والنطاق المتماثل الجامع ، والسهولة المتعة .

وهذا نحن نمضي تباعا في الكشف عن هذه العناصر وتوضيحها فنقول : كليله ودمته اول كتاب نسي العربية ارتكز لموضوعه على محور فكري لا يتقطع عنه مهما بدا انه بعد عنه ، وهو الانسان في خلقه ومجتمعته وسياسته ودنيته . هذا المثلث الذي تتبارى نماذج السلسلة : الهندي والفارسي والعربي ، تحت عينيك ، على مسارح الحياة ، بما في الحياة من الفث والسمين ، والملاحة والقبح ، والصدق والكذب ، والعدل والظلم ، والغضب والحلم ، الى اخر هذه السلسلة من المتناقضات التي تصطب بها البشر : طبعاً او ملكة او تكلفا او تقليداً .

ولما كان ابن المقفع اديبا نبيل الانسانيين مرهف الحس والشعور ساهم ان كان الرعايا العباسيون يحسون حياة المظلومين يستبد بهم الاتويات . لذلك رمى الى وجوب استعمال العقل وضرورة اعتماد التعاون والاتحاد للوقوف في وجه الظالم . فلجأ الى المثل الخرافي ليمضي في رمزية لفظ واقعية معنى يجعل فيها من حياة تلك الحيوانات ، التي حملها على تمثيل ادوارها طبيعية واضحة ، شعوبا مظلومة ، ويتفاعل الحس والعقل فتتفجر نسي نفوس ابناء عصره يراكين الشعور بالحيف ، وتستيقظ نسي ذواتهم حاسة الانسان اصيل ، فيندفعون ويتدافعون الى الدفاع عن نفوسهم والمطالبة بحقوقهم بما في طوقهم من منطق الحق وحيلة الميرون الحكيم وقضائن الجمالة المتماثلة . في هذه الرمزية المنطقية تتجلى القيم الثلاث التاريخية والفلسفية ، والادبية التي جعلت كليله ودمته كتابا فريداً

ابن الربيع ؟

قالوا الربيع اى فابن صده ؟
اخلاصى به وانت تراه ؟
بالاسم كتبت مع الطيور ترنا
ومع الزهور تصومنا يتسدها
ومع الرمال العاليات شفاها
ومع العفول الممرات جنبها
ومع البلاج الفجر رنة مزهر
وعتاف مفتن يحسر هواه ..
ومع التروق يسما ومع الفصحى
شما لرف على رجب صدها
ومع التسيم لظفرا ومع الندى
ندرا مفوعة بسر سدها
قلت : الربيع هو الشياخ فان على
عهد الشياخ فلا ربيع سواه !!

سلامة خاطر

القاهرة

أجل لابد من الوقوف قليلا عند الشكل الحرفى الذي
أفرغ فيه هذا الكتاب آياته الفكرية ، فكان صاحب
مدرسة الإنشاء الأولى في أساليب الكلام العربى المنطقى .
يقول : هذا احتفاظا لمعد الحميد بن يحيى ، المعروف
بالكاتب ، بلقب صاحب مدرسة الإنشاء الأولى فى
الترسل . ولئن كان بعض المصنفين للنثر العربى يرون
أن ابن القفيع قسّص عن صاحبه وصديقه الحميم ، الذى
أوشك أن يقتله بدمه ، من حيث مرونة العبارة وصفوها
الفنى ، فإن لمنشئ كلية ومدته عذره في أنه كان منهما
للقدر المعنوي والوضوح المنطقي أولا فكان لا بد لعبارته
من تفقد شيئا من ميزات الفصاحة في اناقته المتأخرة .
وأما ما عيب عليه من حيث السهولة واعتماد العبارة
مسيكا المعنى ، تطول بطوله وتقصّر بقصره وتسلسل
بتسلسله ، فعلى هذا أجاب عندما سئل ما هي البلاغة ؟
فقال : « هي التي إذا رآها الجاهل ظن أنه يحسن منها » .
وله في مكان آخر قوله ، موصيا بالسهولة والوضوح :
« أباك والتبّع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة ، فإن
ذلك هو الهي الأكبر » .

هذا تنويه غابر بقدر « كلية ومدنة » وصاحبه عبد الله
ابن القفيع . فإن من تناول الإنسان موضوعا يخلو موضوعه
بخلود الإنسان وتوسع الكلمة فيه بقدر اتساع رحاب
الحياة الإنسانية .

نسيم نصر

في نوعه من حيث النطاق الجامع والمجاري المترافدة الى
المصب الواحد . فهو الى جانب ما يشير اليه من المناهات
الدينية كالعداوة بين البوذية والبرهمية ، وما يتوه به من
مثل مذهب النيبانيين وتحريم اللحوم ، والنظرة السيئة
الى المرأة ، الى جانب هذا يذكر بما كان للفرس من زهدية
تميزوا بها ، وبما كان لفتوح الاسكندر من مثل الاساطير
في تاريخ الشرق . ولكنه في جوهر الامر ، كان يريد ان
ينقل الى ما يجري في بلاطات الملوك قديما من مكابد
ووشابات ، والى ما كان يقصد اليه من الكشف عن حاجة
الدولة العربية آنذاك الى الإصلاح والتنظيم .

ولست ادري لماذا يلح بعض الباحثين والمعلمين ، ممن
يدرسون ويدرسون ابن القفيع ، على التأكيد بأنه زنديق ،
وأنه رمى الى العزم بالاسلام كدين ؟ في حين أن هؤلاء
كثيرهم من متناولي هذا الاديب الحكيم بالدرس لا
يستطيعون الا أن يغموا عليه مغالبا بالرحمة ، محبا للخير
متأدبا بالفضيلة ، حائلا على التضامن الامثل . وهو لا ينتهي
من مثل تعميلى دون أن نراه مصوبا جهده لكي ينال كلا
ما يستحقه من عقاب أو ثواب . وهاكم ، مثلا على هذا ،
ما تعطف به أم الاسد ابنها الملك ، وقد اطلع على براءة ابن
أوى الناسك ، الذي صورته بغطاة السوء خائنا الامانة ،
قال :

« ان الملك حقيق الا يرخس لمن سواه به لئلا يتجرأوا
على ما هو اعظم من ذلك ، بل يعاقبهم لكي لا يعودوا الى
مثله » . فانه لا ينبغي للعامل ان يرجع في امر الكفور
للحسنى ، التجريء على القدر ، الزاهد في الخير ، الذي
لا يؤمن بالأخرة . وينبغي أن يحذى بعمله .

ومن تحزى المنازع الفلسفية في هذا الكتاب وقع على
الدعوة الى الزهد والتقشف تأثرا بالحكمة الهندية ، ووقع
على الافلاطونية ظاهرة في رسم الخطوط الواضحة
للدولة المالية ، ووقع على الارسطاطولية بادية في اخضاع
كل الخرافات الممثلة في مغازيبها ومزاميها لاحكام العقل ،
وتضامن الرعايا للوقوف في وجه الاستبداد والجنك الغاشم .
وفي هذه الظاهرة التضامنية العاقلة دفعة الى الديمقراطية
في اصدق وجوها .

والامثال ، في كلية ومدنة ، تبدو كلها مسرحيات
تفاوت طولا وقصرا ، ولكنها لا تختلف البتة في أن وراء
كل عقدة وحل فيها درسا وعبرة . والاشخاص في هذه
التشبيليات تنبئ فيها الحياة نبضا قويا ، لأن كاتبها وضع
فيهم من زخم العاطفة نصيبا كبيرا ، ووقف بين غرائز
الحيوانات وسجاياء الناس وتنوعهم وتقلبهم توفيقا رائعا .
وهكذا تألفت عناصر الادب وتمازجت من عاطفة وفكرة
وخيال ، فاذا العمل الفني ليس لمجرد غاية فنية ، وانما
هو استعراض للحياة تستكمل فيه عناصرها في ضرب من
السهل الممتنع ما يوالى اليوم متحدين من البيان
المنطقي الرائع .

الفراغ

الفيتسي يوما اتاني فارغ
كل تذوق ما اشتهاه شاربيا
طربوا وما شربوا الذي اودعته
والناس يصطخبون حول انائي
منها ، وما امتلات بغير هواء
دتي ، ولا عرفوا منا صهيالي

آليت لا القبي اتاني فارغا
املا فراغك ، ربي كأس فارغ
قد تخلط الانمي به من سمها
كن في الانام وعاء نفسك من يكن
الناس ان وجدوك سمعا فارغا
واذا هم وجدوك قلبا خاليا
لا بد من ان يكونوك ، فلا تكن

لمراشف الاوهام والاهواء
في الناس افتك من فم الرقطاء
وتدير باسمك منه للخطاء
لهم وعاء كان شر وعاء
ملاوك من اقوالهم بهراء
من حبه ملاوك بالفضاء
للناس ماجورا بغير كراء

املا حيالك ، ولتكن الضحي
من ليس يشرق من توهج ذاته
كم جارح ضحي بفراغ كاسه
اريا بكاسك ان تلم حطامها
هذا انائي شفته من معدني
لم تبك اجفالي بغير صدائي
اني عجبت لمر قد انكروا
ما حيلتي في يابس متحجر
متخبط الاوهام مملوء بهما

مملوءة من ذاتها بضياء
مسحت ملامحه يد الظلماء
منها ليتقع غلتي بدمائي
بسمك هزء عن شفاه ظماء
وملائكة للظلمة من بيمائي
لم تشدد خنجرتي بغير غنائي
صوتي وهم في الشعر من اصدائي
يتعمي علي تفجيري ونمائي
كالتقير بالاشباح والاشلاء

ما ان نظرت الى فراغي مرة
قل للعدل على الوري يجفائه
كم مالى جفنيه مني قد ناي
ماذا اضلك يا اخي عن متبعي

الا خجلت بزخرفي وطلائي
ان لم تجد ماء فماء حياء
عني لتعلا سمعه انبالي
لتروح تشربني من الانواء

اترعت كاسي من عصارة مهجتي
طربوا بما شربوا ، فما اسكرتهم

وادرت من روحي على الندماء
بشعاع خمرى او بريق انائي !

فارس سعد

تناولت فطوري بسرعة وأنا أجفد على السيتما ، فقد دعوت امرأة صديقة الى حفلة الساعة السادسة مساء . ولهذا وجب علي ان استيقظ مبكرا ، واذهب الى دار السيتما ، وانتظم في صف طويل حتى يأتي دوري ليتسنى لي قطع التذاكر . وسارمت بالقاء نفسي في اقرب سيارة اجرة ، وبعد عشرين دقيقة وصلت الى سينما «ريغولي» . وكادت لونة تصيبي عندما ابصرت ذباطوبلا امام السيتما ، وعراتي اضطراب شديد ، فاذا وقفت في هذا الصف الطويل .. متى - يا رب - يأتي دوري ؟ ولعلنت الساعة التي وجهت بها الدعوة الى صديقي الدكتور عبد الرحمن واسرته . وخطسرت في ان اتصل هاتفيا بصديقي الدكتور ، واعتذر له .. غير انني سرعان ما وادت هذه المظاهرة ، فاشتريت جريدة الاهرام ، واتصبت واقفا وراء ما لا يقل عن خمسين شخصا بانتظار دوري . وكان الله في عون الصابرين امثالي .

وانتهيت من قراءة الجريدة ، وابصرت امامي قرابة ثلاثين شخصا ينتظرون دورهم . واصطكت ركبتي ، وتخاذلت ، والتم بي سجد شديد ، وتوترت اعصابي .. ورحمت انقلص .. لا بد ان يكون هذا الفيلم جيدا حتى حدث هذا الازدحام الشديد ، ونظرت ورائي ، فقد كان الذنب اطول من شهر الصوم . وكان تزحزح الصف امامي في بدء شديد . ونظرت الى ساعتني .. لقد مضى علي ما يقرب من ثلاثة ارباع الساعة ، وانا في هذه الوقفة القبيحة .. وتسلبت بعد الذين كانوا امامي .. يا لرحمتي .. العدد يتضائل الى العشرين ، وتنفست الصعداء ، وتمتمت بيني وبين نفسي : كل ازمة الى افراج .

ونجاة اخذت عيناك منظرنا رائعا ابهجتي ... فتاة اجنبية شقراء زهراء كلها فتنة واقرأ في حدود العشرين من عمرها الفض ، افترقت

على جسدها الرشيق ثوبا أحمر انعكس فيه بريق جسدها الناعم البياض ، وكشفت عن صدر ناهد مليء فيه اللق ونور ، وحدقت فيها باعجاب شديد .. واعترف ، انها اسكرتني ، ولست ادري كيف صبت لي الخمر .. وتطامن بي اذيتاح شديد وزال عني التوتر الذي اصابته ، واقرتبت الصبية القاتنة من عجوز اجنبية كانت امامي مباشرة ، وحدتها بالافرنسية قائلا : هسل يمكن ان تنفضلي بشراه تذكرة لي ؟ وهزت المعجوز رأسها نفيا ، فتحولت الفتاة الى امرأة أخرى ورائي .. وكان الرفض .. ثم تقدمت بضع خطوات ،

عصفورة من الغرب

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

وطلبت الى شاب فارغ القامة مريض المتكبين ان يؤدي اليها سنيكورا هدم الخدمة .. ولم يابه لها .. وحنقت على هؤلاء الذين رفضوا شراء تذكرة لها .. وتزحزح الصف .. وامامي خمسة فقط ، وكانت الفتاة الاجنبية لا تكف عن الرجاء لكل الواقفين .. غير ان هرة الراس القاسية بالنسفي كانت تجهيها .. وحنقت عليها .. انا الوحيد الذي على استعداد تام لشراء تذكرة لها مع الشكر العييق .. لم لا تطلب الي هذا المطلب ، ولعلت حظي للمعون ، وكسدت اعرض عليها شراء التذكرة التي تبغيها .. غير ان بقية من الكرامة الجمعت لساني . وتحرك الصف .. امامي ثلاثة ..



والفتاة لا تزال تحوم ، وتدور .. وفجأة ساقبتني ، ولعلت على بغرها ابتسامة تفرح حلوة ورقية ، وتخلخلت اعصابي .. وقالت : هل يمكن - يا السيد - ان تنفضل بشراه تذكرة لي لحفلة الساعة الثالثة ؟ . وقلت : امرك يا آنسة .

— شكرا
وجاء دوري ، واشترت تذكري لي ، وتذكرك لها ..
وخفت الى قائلة : هل اشتريتها ؟
— نعم .
ورشقتني بنظرة اسسكرتني ، وقالت : انت مثال اللطف .
وفنت محفظتها ، واخرجت نقودها ، وقالت : هذا ثمنها .
— وهل انا بالغ تذكري ؟
— العفو .. ولكن
— ارجو ان تقبلها هدية متواضعة
متي
— انك لطيف . ولكن يجب ان ادفع ثمنها .
— انك تهينيني يا آنسة .
— لا .. لا اقصد .
ومشينا نحو خلتنا قليلة ، ثم قلت :
الا يمكن ان تجلسي قليلا في «الاميركان»
لنتناول فنجان شاي ؟
— لا مانع عندي . وشكرا .
وجلستنا على مائدة متعزلة . وقلت :
انني سعيد بمعرفتك يا آنسة ..
— اسمي سيلفانا ..
— اسم رائع .
— وانت ؟
— محمود ..
ورددت اسمي ، ثم قالت : وهو اسم جميل ايضا .
وتضاحكتنا ، ثم قالت : هل انت من القاهرة ؟
— لا .. من دمشق .
— دمشق .. كم اتوق لرؤيتها ؟
— ما عليك الا ان تآمري .
— كيف ؟
— نساقر اليها ساعة تشالين .
— صحيح ؟
— صحيح . وزيادة .

وجاء التادل بالشاي وبعض
الحلوى. وقدمتها لها ، وعيوني تطوف
في حباياها الوسيم ، وتنسكب في
عينيهما القانتين . ورشفت الشاي
وقضمت قطعة من الحلوى ، ثم قالت:
الشرق ينبوع السحر . ما أجمل
القاهرة .. انني فيها منذ شهر ،
وكلما احسست بالتي ساغادرها
اصابني دوار

— ولماذا تغادريها ؟
— جئتها زائرة لخاوتي من روما ،
وسأرجع اليها بعد خمسة عشر يوما .
— خسارة .

— ما هذه الخسارة ؟
— لا يمكن ان تعودي .
— كيف .

— أمن المعقول أن ندعك تعودين
الى روما ؟
— ولم لا ؟

— نحن في الشرق عندنا حساسية
عظيمة للجمال فليس من المعقول أن
ندعك تعودين .

— وماذا تفعلون بي ؟
— لا بد أن تتزوجي في هذا
الشرق الذي بعيد الجمال .

وأحمر وجهها قليلا ، واطرقت
حياء ، ثم انفضت رأسها الجميل ،
وقالت :

— انك لطيف جدا .
وراحت ترشفت الشاي بآناة ، ثم
سألتني : هل أنت متزوج ؟

— لا .
— عندك خطيبة .
— لا .

والقت نظرة خاطفة على ساعتها ،
ثم قالت : يجب أن اعود الى البيت .
— هكذا بسرعة .

— سأذهب مع خاوتي لنزور بعض
اصدقائنا .
— كما تحبين .

— يبدو لي انك متضايق ذهائبي .
أهكذا صحيح ؟
— .. لن اكذب عليك .. صحيح .

— لماذا ؟
— لا أعلم .. وارى أنه يجب أن

اقضي معك وقتا كبيرا .
— والسبب ؟

— اشعر بسعادة عظيمة ، وأنا
اتأمل جمالك العظيم .

— وهل أنا جميلة حقاً .
— ملكة الجمال حقاً وصداقاً .
— أنت لطيف ومهذب .

وسكنت هنيهة ، ثم اردفت :
سأذهب الآن .. وارجو ألا تتضايق
من ذهائبي .. وغدا سألتقي بك في
هذا المكان ، في الساعة الثامنة صباحاً ،
وسأقضي معك نهارا كاملاً ..
امسرور الآن ؟

— اذا كان عندك صداقاً .
— سأكون هنا صباح الغد . اياك
أن تتأخر .

ومدت لي يدها النضيرة ، ودبت
بي لذة حائلة ، وأنا اصفحها .
وتوارت كالطيف وشيمتها بنظرات

تومض بالحنين والمحبة .. حتى
اذا غابت من بعني أضرائي فسبق
شديدي .. ووضع لي اني ان اراها

بعد الآن .. وهذه الدقائق التي
اصفحها معي لن تعود . وأحمرته .
لقد أشعلت النار في كياي ..

وأحسست برغبة غامرة لأتلاها .
ولكنني سرعان ما تهاديت ، وانبست
نفسي على هذه الرغبة المحومة ..

ان البرادة التي تنصع في وجهها
الطفل تدفع الانسان الى السمو في
عالم الروح .. وتدت مني زفرة

نالحة .. ونهضت من مكانتي ،
وانطلقت على غير هدى في الشوارع
اذيب همومي .. وحاولت ان اطردھا

من مخيلتي ، بيد انها كانت اقوى
منى ، فظلت مترسبة في اعماقي .
سحرا وتنادوتها .

وتنفس صبح اليوم التالي ، وكنت
في الساعة السادسة في مقهى
الاميركان .. ورحبت انصفح

الجريدة .. وأنا في ليج عاتية من
القلق وتوتر الانصاف .. هل تصدق
في وعديا ؟ وساورتني الهواجس

من كل صوب وحذب . وليسني هي
المرّة الاولى التي تضرب لي فتاة

ميعادا . لقد عايت هذه التجربة
كثيرا .. ولكنني نسي جياي لم
أحس يمثل هذا التمزق والقلق

والهفة عليها . اريدها .. وابغني
سماع حديثها العذب ، والاستمتاع
بجمالها اللطاب ، وهذا البحر العجيب

الذي تنفته .. هل معنى هذا انني
أحبها ؟ وطردت هذه الفكرة من رأسي
الوقر .. انني لا اسلم على تمثين

صوتي بأية فتاة .. لانسي لا احب
الزواج ، ولا اسيغ فكرة دخولي في
قفس ولو كان من ذهب .. غير أن

سيفلانا تختلف عن عشرات الفتيات
الوالاني عرفتهن في الشرق والغرب ..
فيها برادة عجيبة ، وطفولة روح ،

ورقة متناهية ، وجمال أسر .. يا
رب .. ما هذه الورطة ؟ وكيف
سوغت لنفسني ان تقع في شركها ،

وقد لا اراها البتة ؟ الانني اشترت
لها تذكرة سينما يجب ان توافيني
اني هذا الميعاد ؟ لا بد انها هزأت

بي .. ، وتضايقت كثيرا . ولعلت
الساعة التي مررتها بها .. اما كان
الاحجي بي ان اقلل حبرا طليقا

كالمصور الشادي ..
ومشت الدقائق ببضة .. وبعد
لاي اقتربت العقارب من الثامنة .

ان قلبي في وجيب شديد ، ورحت
الطلع الى الباب في شوق ولهفة ..
ومضت دقائق .. على الميعاد

المضروب ، وكادت روحي تتمزق ..
وفجأة رايتها امامي بكل ما حباها
الله من جمال وسحر . وصانحتها ،

وقد قطع وجهي بالبشر .. وقلست
منهوا : انا اسعد مخلوق يا انسة
سيفلانا .

وجلست وهي تتمتم : هل حضرت
في ميعادي ؟
— شكرا جزيلاً .

وطاقت عيناها الضامتان بوجهها
الزنبقي المشرب بحمرة الورد .. لقد
ترابت لي في جمال الالهة الجمال في

القديم .. ورائتي اتلمها بوله ، فاحمر
وجهي وقالت ، اراك تحلق بي كثيرا .
— اعذرني .

— ان الحب الصحيح لا يتكلم .
— وواقع المساء ، ونحن تطوف ارجاء
القاهرة القديمة .. وقلت لها اخيرا :
الآن نعود ؟

— الى أين .
— الى القاهرة الجديدة .
— هيا بنا .

— ودرجت بنا السيارة الى شارع
٢٦ يوليو ؟ وقلت لها :
— أين تسكن خالك ؟

— في الزمالك .
— سنواصل السير ..
— لا . يجب ان نبطح هنا .
— كما تريدن .

— وتابلت دراسي ، وتهادينا في
الشارع المزدحم ، ثم قالت :
— انك تنوم بحمل هذه التحف ..

— الا يمكن ان تضعها امانة في مكان ما ؟
— ممكن جدا .
— وبعد ان وضعتها عند احد
اصدقائي ، قلت لها : ماذا نفعل ؟

— اترك الامر لك ؟
— هل نذهب الى السينما ؟
— لا .

— هل تجلس في احد المقاهي .
— لا .
— ماذا تريدن اذن ؟

— وسكبت نظراتها الصافية في
عيني ، وانفجرت شفتاهما عن ابتسامة
انيقة ، وقالت : كيف ينزوجون
عندكم ؟

— نذهب الى المآذون ، ونسجل
زواجنا .
— واين هذا المآذون ؟

— وماذا تريدن منه ؟
— يجب ان اخذك بصرحة .
— لقد اصعبت بك امس ، واحببتك

اليوم . واريد ان اتزوجك .. ما راياك ؟
— وتبسط قلبي بالفرح ، وكادت افزع
ذراعي لاضمحاضة الى صدرتي ..

والواقع ان قدرتي ساقني اليها ، ففي
حياتي لم يخفق قلبي كما يخفق
(التمتة في صفحة ٦٤)

محند حاج حسين
طرطوس

ونفطنا . الى مقهى الفيشاوي
الشهير .. وحدتها عن تاريخه
العريق ، وكيف يقضي الناس

سهراتهم في رمضان فيه ، ويشربون
الشاي الاخضر .. فاستمرت
حديثي ، وقالت : بلادكم ينبوع
السحر والجمال .

— وجلسنا في مقصورة خاصة ،
ورحنا نشرب الشاي الاخضر ، وهي
تنطلع باعجاب الى التماثيل والصواني،
والعقود التي ابتاعناها ، ثم قالت :

— انني سعيدة .. لا اعرف كيف
اشكرك ..
— وأنا سعيد .

— هذا اسعد يوم في حياتي
بالقاهرة .
— وسكنت قليلا ثم قالت : اشعر

بترك بطانة عجيبة ، كاني امرك
منذ ايجال ..
— قد تكون روحانا عاشتا معا في

الماضي .. ثم التقينا ، الآن ..
— هل يؤمن بالقمص ؟
— بعض الايمان .

— الايمان لا يجزأ ..
— امسكت فمضلا صغيرا لاحد
الفرقة ، واقلته بيديها . وقالت :

— انه يذكرني بالماضي ..
— وارجعته الى مكانه في الحقيبة
الكبيرة التي ابتاعناها ، ثم قالت فجأة :

— يجب ان اراك .
— لقد كافأني بما فيه الكفاية .
— لم ار انا مثلك يقنع بالقليل .

— وامسكت بيدي ، وراحت ترت
عليها بلطف ، وهمست لماذا لا تقبلني ؟
— وتطلعت اليها في ذهول .. ثم

اطرقت براسي ..
— وقلت : لا ..
— وقالت بدلال : الا اعجبك ؟ الست

جميلة ؟
— انني معجب بجمالك الى ابد
حد ..

— لماذا لا تقبلني اذن ؟
— لانني اقدسك ..
— هل تحبني ؟

— دعينا من هذا السؤال ..
— هل انا جميلة اليوم ؟
— جميلة اليوم وكل يوم .

— لقد خصصت لك هذا اليوم
كله .
— هذا اليوم فقط ؟
— لا تكن طماعا .

— امرك .
— والان الى أين تريد ان تاخذني ؟
— الى المكان الذي تريدته .
— خذني الى القاهرة القديمة .

— فكرة جميلة .
— هيا بنا .
— لا تتناولين شيئا ؟
— لا أستطيع الان .

— وافلتنا السيارة الى جامع سيدنا
الحسين . وتغلطنا في الحارات
المتوترة ، والازقة المنعرجة القديمة .
— وهبت علينا رائحة القاهرة العظيمة ،
فانتشيت من عبقها .. ومالت
سيفلانا الى قائمة : انا سعيدة جدا .
— اشعر ان روحي تطوف في دنيا
عجيبة . اين خان الخليلي ؟
— وتسلطنا اليه ، ووقفت مبهوتة
امام التحف الدقيقة التي اطلت من
مخازنها .. وغرقت فني تأملها ،
وابدت اعجابها الشديد . وقلت :
— اختاري ما تشائين .
— ليس عندي مال كفاية .
— يسرني ان اقدمها لك هدية .
— ولماذا تقدم علي هذا ؟
— لانه يسعدني .
— وازاد الحاحي الشديد عليها
اشترت لها بعض التحف التي
اصعبتها .. وفي كل مرة تمنع بشدة ،
ولكنني كنت ماضيا في شراء كل شيء
يروق لها حتى كثرت المشتريات
عندها .. وقالت :
— كفاية . لقد اشتريت لي كثيرا .
— خذي ما طاب لك .
— اخذت فوق حاجتي .
— وغادرنا خان الخليلي ، وعطفت
علي قائمة : لا بد لنا من عودة الى
هذه الجنة .
— نعود غدا .
— لا .. سأقول لك فيما بعد .

ساد بالامس قفر

ترجمة سمعد صائب

كان في غفوتي رف
وكتت ادخل مساء فاري ارمائين ممسوختين
تصرخان والغتين على الغضب الطلي بالسواد .

كان لمة سلم ، وكتت احلم
ان كليا يعوي في قلب الليل
في هذا الذي لا يؤبه الكلاب
وكتت اري كلبا ابيض فليعا يخرج من الليل

كنت انتظر وانا وجل ، كنت انتظر الموت
قد ينتقح في النهاية باب
« هكذا كان الصباح احيانا يبني مولدا في وضح النهار
ولم احب قط الا هذا الشاطيء » .
اكان هو الموت ، الذي يحكي مرفا رحيا فاردا ، واني لاعلم
ان الاناسي والمستنبل في عينيه الحريصتين
سيقتلان يهدم احدهما الآخر
كرملة ويحر علي الشاطيء
واني سانشيد فيه مع ذلك
الكلان الحزين للآفنية التي كنت احملها
كالنمل والطين ، واكون منها
صور الفياض حين يجيء الماء فيمحو مرارة الشواطيء ..

« ساد بالامس قفر » مجموعة شعرية معدة للطبع ، تضم ديوان شعر
اصدرة الشاعر الفرنسي المعاصر ايفي يونلوا وسيقدم له بكلمة بخص
بها الشاعر العربي .

نقصان الكمال هو القمة

كان الامر انه لا بد من الهدم والهدم والهدم
كان الامر ان الخلاص انما يكون بهذا التشنج .
هدم الوجه العاصي الذي يبرز في الرخام
تعليم كل شكل وكان جمالا .
محبة الكمال لانه هو العتبة
ثم رفقه صور التعرف عليه ، ونسيانه ايضا
ان نقصان الكمال هو القمة ..

الوجه الفاسي

ينحني النهار فوق نهر المساسي
محاولا ان يستعيد الأسلحة التي فقدت باكرا
وجواهر الوت الطوفاني العميق .

انه لا يجرو ان يعرف هل هو النهار حقا
او هل يحق له ان يحب كلمة الحجر هذه
التي تليق من اجله سمور النهار .

حمل مشعل في النهار الاثير
النار تستلزل النهار
الامر هو ان شغافية الهب تنكر النهار بمرارة .

الامر هو ان الصباح كان يشتعل في خلوت
وانه كان يحني لعود وجهه الريد
وانه كان يرتجف في فضا والتاجر كمنصور جريح محمل بالوت .

اترى الزيت السائل في مرفاهي البحر الرمادي
يتنهب بعد بالحجرة يوما اخيرا
والسيفينة الساكنة في قلق الشواطيء
انراها تلج اخيرا قبالة النهار ؟
ههنا الحجر وحيد ، روحه واسعة كثية
وسرت انت دون ان يجيء النهار ..

الجمال

ان الجمال الذي يدخر الكائن
سوف يعذب عسايا وي طرح منه العذاب
ويهتك منه الستر ، ويوصم بالجريمة ، فهو دم
وصراخ وظلام قد انتزعت منه كل فرحة
فيما موزقا على كل الاوساب قبل الحجر
يسا من نطاء وتجاوزة لسوق كل دهب
اقصى ياسينا سيكون في ان تعيش
وقلينا ان تتألم
وصوتنا في الالانك وسط دموعك ووهك
بانك كاذب ، وانك قهرمان السماء السوداء
ومع ذلك فان لذتنا هي جسمك السقيم
وانسلاطنا ، هذا القلب الذي يتود الى كل طين ا .

الرمضاء

كان في الصي الحديثة دحليز
وحملت اني كنت اسير فيه
وان الموت كان يجي ، بآزاهه العاليية الذابية
وعلمت اني كنت اتزعج منه هذه الطاقة السوداء .

سمعد صائب

دعشق

الفكرية ، سرعان ما وجدنا هنا جواً للانطلاق والازدهار .
فجاء في طفولتهما : الشاعران الكاتبان الشيخ نجيب
الحداد ، وشقيقه أمين الحداد مع أبيهما الشاعر سليمان
الحداد وأمهما بنت ناصيف البازجي .. وجاء سليم
وبشاره تقيلاً ليؤسس بالاسكندرية جريدة « الأهرام » عام
١٨٧٥ .. وجاء آل شميل وأنشأوا بها « البصر » عام
١٨٩٧ .. وأقبل خليل مطران ، وأديب اسحق ، وسليم
التقاش ، وورده البازجي ، وميمه بدران ، وإيليا ابوماضي ،
وابراهيم البازجي ، و خليل زينية ، وطانيوس عبده ..
وكفاليات أخرى .. في حين كانت الاسكندرية تلد بين
عام وآخر من تلك الفترة الخصيبة : عبد الله النديم ،
وسلامه حجازي ، وعبد الحى حلمي ، وجورج طنوس ،
وسيد درويش ، وبريم التونسي ، ومحمود سعيد ..
الى اخر هذا العقد القوي ..

وفي تلك الفترة ايضا ، قدمت الى الاسكندرية - في
العاشرة من عمرها - الشاعرة العربية الحنا: «اسكندرية»
- ابنة قسطنطين نعم خوري - وكانت قد ولدت ببيروت
حوالي سنة ١٨٧٠ - واشتهرت فيما بعد بهذا الاسم
واللقب : الاميرة الكسندرية دي افيرنوه فيرينوسكا !
ولا زال بعض المبررين الذين ادركوها في خريف حياتها
تحدثون عنها كاسطورة من بنات الخيال ..!

جاءت مع اسرتها اللبنانية ، وتعلمت منذ صباها البكر
بمدارس الاسكندرية .. وفردت آداب اللغات العربية
والفرنسية والانجليزية ، وتعلقت بالشعر والشعراء وكانت
تنظم في هذه اللغات .. واصبحت سكندرية النشأة
والوطن والتواصي .. ثم تزوجت من احد اعيان المدينة
- السيد « ملبادي افيرنوه » .. واضافت اسمه الى
اسمها ..

وفي صالونها الادبي كان يجتمع صفوة الادباء ، المقيمين
منهم والزائرين .. وساعد على اشتهار هذا المنتدى ما
كانت عليه « الكسندرية » من ثقافة عالية ، وجمال باهر ،
ولام بالالفات ، ورئاستها لتحرير مجلة ادبية ..
وكانما كان صالون « الكسندرية » بالاسكندرية تمهيدا
لصالون مي زياده ، العتيق بالقاهرة ..!
وكان من رواد صالون « الكسندرية » كما كان فيما بعد
من رواد صالون « مي » ، الشاعر الرقيق النظم والخلق
اسماعيل سيدي ..

ولهذا الشاعر صلة وثيقة بالاسكندرية حيث قضى من
سني وظائفه اكثر من عشرة اعوام .. فكان محافظاً
للاسكندرية فيما بين مارس ١٨٩٦ ونوفمبر ١٨٩٩ ،
وكان من قبل رئيساً لمحكمة الاهلية فيما بين ١٨٨٦ -
١٨٩١ ، ومن قبل ايضا مساعداً بمحكمة الابتدائية
المختلطة عام ١٨٨٠ ..

وقد ألهم منتدى « الكسندرية » ومجلتها : « انيس
الجليس » ، وجمالها وثقافتها - شاعرنا الرقيق ، عدداً



نقولا يوسف

الكسندرية افرينو صاحبة انيس الجليس

بقلم نقولا يوسف

...

يعقب جو الاسكندرية البلوري بذكريات شمراها ومفكرها
ممن استلهموا بحرها وبرها وجوها ، وما زالوا يتوارثون
هذه الالهامات منذ ايام كاليماخوس وثيوفريطس وكليوبتره
وهيباتيا ..

وكان هناك في مر الاجيال شروق وغروب .. وعادت
بشائر الفجر الجديد تطلع على هذا الشاطئ في الربيع
الاخير من القرن التاسع عشر .. فوضع تقاليد الثقافات
الواردة من وراء البحر مع البلور العريقة هنا في القدم ..
وولدت شعارات جديدة تقول بحرية الشعوب ، وحرية
المرأة ، وحرية العقل .. وهاجرت ثقافات عربية من ارض
النيل هاربة من مساوئ الحكم التركي ، نائرة على القيود
والظالم .. ولقيت هنالك خمائر من تعاليم رفاعة
الطهطاوي ، وعبد الله النديم ، والانفاني ، ومحمد عبده ،
وقاسم امين .. وثلتها خمائر اخرى خلفتها الثورة العربية
وضرب الاسكندرية .. وظل جو المدينة مشحوناً بالكهرباء
ليصمق « راس التين » قبل عشر سنين ..!

كانت حواكب اولئك الادباء المهاجرين ، المتمردين على
الرجعية التركية ، تنال وتستقر بالاسكندرية ، ثم تنصهر
في بوتقتها .. وكانت بينهم طائفة من ذوي الواهب

من القصائد - ما زلنا نقرأ أربعاً منها متوجة باسمها في ديوانه المطبوع عام ١٩٣٨ ..
وها هو يصف ندوتها بقوله :

ان لفصل رونقا وجمالا بهرا الحاضرين في ناديك !
قد نلوت في الانام بري غش من صوت مشر جادوك !
وعن اشعارها يقول :

الغلي الدري يا سمية اسكند
واترته فالقد ود ان لسم
فاذا غاب عن صالونها هذا بحث اليها بهذه الابيات :
بالله يمم يا نسيم الصبا بصرني دار « اسكندره » !
وحيا بين الهما ان يمدت في سريها مقبلة مدبره !
ويرسل اليها مرة اخرى قصيدة عاطفية ، منها :

يا ربة الفلل يا فطر النساء وهل
يا ام اسكندره بل يا سميتها
هلا نلقت لنا كيتا نقر به
هلا كتبت لزياب النسي جملا
فاقوم ان مست او ارسلت فالية
هل الديلالات اما جلوت نسا
ترعين ان قلنت بل يا عطلة الفعرا
نبي على دولة الاسلام وافتخري
من ذلك التبرع بل من لکم الدرد
تسر كاتل الساري مدى الدهرا
كل له وطر نايك من وطر
من نلقة المسحر او من نلقة المسحر

ويبدو ان شعر « الاسكندره » لم يكن مقصورا على امراء الشعر ، فحسب ، بل اصاب ايضا امراء القصور وسلطانيتها .. وكانت للجميع « اميرة الاحلام » !

ففي عام ١٩٠٠ سافرت شاعرتنا الى باريس حيث اجتمع مؤتمر نسائي « لجمعية السلام العام » ، والتلقت

« الاسكندره » لتمثل سيدات مصر هناك . قصفت مصر علما خاصا يرمز الى السلام ، ليخلق بين رايات سائر الدول . وكانت رئيسة تلك الجمعية هي الاميرة الابيغالية

« فيزيوسكا » . فترفعت « الاسكندره » اليها فلما كتبت ان سالت صديقتها وموضع لفتها . ولم يكن لهذه الاميرة اولاد يرون عنها لقبها . فاعلنت في وصيتها الاخيرة عن رغبتها في ان ينتقل لقبها بعد وفاتها الى السيدة الكندره وذرئتها من بعدها ..

وبذلك لقيت الشاعرة « اسكندره نعيم خوري » :
بالاميرة الكندره دي ايرينو فيزيوسكا .

وساعد لقب « الامارة » هذا في عصر يقدر الاقارب والرتب - على رواج مجلة « انيس الجليس » التي كانت تصدرها « الاسكندره » ، واجلست اليها الاقلام والقراء .. وغزت قصور الملوك والسلاطين واهل الامارة والوزارة . وفي عام ١٩٠١ منحها مظفر الدين شاه ايران لقب « كوكب الشرق » . وانثا لاجلها رساما خاصا بالنساء اهداه اليها مع صورته موقمة بخطه !

ولما سافرت « الاسكندره » في شهر يولييه ١٩٠٣ الى استنبول « لتشهد « حفلة السلاطك الهمايوني » ، بادر السلطان عبد الحميد الى الانعام عليها « بوسام الشفقة من الدرجة الاولى » ، مرصعا بالجواهر والماس ! وكانت « الاسكندره » قد انشأت مجلة باسم « التوس » ، الزهرة المصرية المعروفة ، اصدرتها باللغة الفرنسية ،

لتكون هزمة الوصل بين الادباء العرب والفرنح .. فذاعت في الخارج وانت عليا الصحف الاوروبية الكبرى ..

ثم ما لبثت ان انشأت بالاسكندرية مجلة عربية سمنها : « انيس الجليس » - ادبية اجتماعية نسوية - كانت تظهر في اخر كل شهر - وكان للشعر والشعراء بها مجال فسيح .. وصدر عددها الاول في ٣١ يناير ١٨٩٨ ..

وظلت توالي اصدارها والكتابة فيها حتى اوقفت صدورها بعد اخر عدد صدر منها في ٣١ ديسمبر ١٩٠٤ ..

وكان لتوقفها في ذلك العام رنة اسى في قلوب اصداقائها . وارسل اسماعيل صبري الى صاحبها قصيدة يرغب اليها في ان تعيد « انيس الجليس » الى الصدور ومطمعا :

خبري القوم يا سمية اسكند
هل لوجه « الانيس » بمداحتجاب
فترى فيه كل بحث جديد
ان للفتيات حقا علينا
فاجمعي جيشهن حولك ان شئ
وابني من غياض غمر في النسا
نرى يا ربة النسي والذلاء
من سفور في عالم الادباء
يقف الحق في صفوف النساء
ليس يخفى الا على الجهلاء
ن طلب العقول حول لواء
س سفير مسيد الاراء

والى جانب ما كانت تكتبه وتنظمه « الاسكندره » في مجلتها من مقالات واشعار ، فقد كانت تحب بكلمات الادباء وقصائد الشعراء . وتدفع للفقر منهم في سخاء .

واليوم وقد مضى على هذه المجلة نحو ستين عاما ، وانطوت في سجل الزمان ، فقد اُمتست مرجعا لمن شاء من البهائم الجاهل ، النش من كثير من الآثار القلمية للنسوية والجمعية عن النظارة .

وكان حينئذيهما في تحرير هذه المجلة الاديبان الشاعران : الشيخ نجيب الحداد ، وشقيقه الاصغر الشيخ امين الحداد .. ولم يكتب الاول الا في اعداد السنة الاولى ، فهو لم يعمر طويلا ومات في الثانية والثلاثين يوم ٩ فبراير ١٨٩٩ . واما امين الحداد فظل يخرجه الى النهاية . كما ظل وفيا لصاحبها حتى وفاته عام ١٩١٢

ولم يكن قلم الحدادين مقصورا على هذه المجلة الشهيرة الادبية ، التي اخلصا لها وصاحبها الاخلاص كله .. فقد كانا يكتبان في صحف اخرى وانثا جريدة يومية تسمى « لسان العرب » ثم اخرى تسمى « السلام » . كما ترك الشيخ نجيب الحداد نحو ثلاثين قصة ومتميلية ، ما بين مترجمة ومؤلفة ، ولا زلنا نذكر الحان الشيخ سلامه حجازي في تمثيلياته وبخاصة « صلاح الدين الايوبي » و « روميو وجولييت » .. وغيرهما ..

فاذا وقع في يدك مثلا - عدد نوفمبر ١٩٠٢ مسن « انيس الجليس » - صادفتك مقالة طريقة في نقد ديوان احمد الكاشف بقلم احمد زكي (باشا) يبداهها بتحيةة الشعر وشعراء العصر - ويقول :

« للشعر الان في مصر ابتسامة جميلة ، تشر بحياة عالية صافية ، ومستقبل مثير سعيد . وهو تابع في

امراة بارعة الجمال ، ولكن ليس لجمالها سلطان على بالاطلاق . بل اهبها ذلك في نظير ما تبته من اجرة . وفي نظير ما ينبغي من الرجل للمرأة . اما دلل سلطانها لدي ، فلفسدة اتلافي بها الى حد الاوة . ولكوني فسي شغل شافل عن الحسن من خلقي ومن همومي ، ونيلي في دنياي اقل من استحقاقي .. »

وبفهم من هذا الاعتراف ان بمجلة « انيس الجليس » شعرا لامين الحداد لم يوقعه باسمه . ولناقد ان يعيز هذا الشعر ويفحصه اذا شاء معالجة هذه الموضوعات .. ويعلق صديقه - « حنا سركيس » في المقدمة النسي كتبها « لمتخيات امين الحداد » عن تلك العبارة بقوله : « .. فقد ذكر عند كلامه عن « انيس الجليس » انه كان يكتب في نظير الاجرة التي كان يتاولها . وهو قول - وان كان صحيحا - ولكن الاسخ منه ان وقاه الشديد لصاحبة الانيس ، وبقائه في خدمتها الى اخر ايامه ، انما كان من قبيل الاعتراف بالجميل الذي صنعتته مع اخيه نجيب الحداد ايام اعتلاله وموته .. » (١)

كانت هذه احسن التواحي الإنسانية في حياة الشاعرة الكسندره - اذ كانت مع ترحيبها بنشر انتاج الادباء ، تدفع الاجر لريقي الحال منهم ، ولما مرض نجيب الحداد رحته بعبائتها ، فلما انتقل الى رحمة ربه جمعت شعره ، وطبعته ديوانه « تذاكر الصبا » على نفقتها ، وكتبت في مقدمته لاهل هذا الديوان لم يشمل شعره كله . اذ ان ثلاثة ارباع شعره متفرق في رواياته ومسرحياته وطبع معا . وكان هناك شعر كثير يحتفظ به اصدقاء الشاعر ، ولم يحتفظ به هو ، فالتصمت منهم هذا الصديق للسنة الجرائد والرسائل ، فجاءه منه شيء وبقيت اشياء .. كما طبعت الكسندره ايضا على نفقتها ديوان : « شعر التحلة » لناظمه الدكتور لويس صابونجي ..

اما آثارها الخاصة فتشمل اشعارها العربية والفرنسية التي نشرت في مجلتها : « اللوس » و « انيس الجليس » ، ومقالاتها فيها وفي غيرها .. كما انها ترجمت النسي العربية روية « شفاء الامهات » .. ولم نعر على كتاب يجمع سيرته واخبارها واشعارها في سطر واحد طريف ..

وان حياة هذه الشاعرة العربية ، السكندرية الحسنة الكسندره التي عاشت في اوائل القرن العشرين ، بين اهل الادب والفن ، مصدرا لاهل الثراء ، لتذكر بمواظنتها السكندرية الفيلسوفة الحسنة هيبانيا التي عاشت في القرن الميلادي الثالث بين اهل العلوم والفلسفات .. وكانت كل منهما في هذه المدينة نجما لامعا قبل ان تخلق نجوم السينما فتبعد الايصار ببريقها عما سواها !

نقولا يوسف

الاسكندرية

نموه لخطي الشعب في طريق المدنية وال عمران . بل هو ثمرة الحرية التي وجدت فيه استعدادا للانتفاخ بها ، والاستفادة منها فاشدت المزائم ، وتطلعت النفوس الى الكامليات ... »

.. وبعد ان حبس شوقي وحافظ واحمد محرم واحمد الكاشف ، قال في الكاشف :

« هو اول من عاب يده الامداح بالفزل الفاضح المخلج ، وطن بعضهم ان ذلك عجز منه ، ولكنه لما خاض في ذكر الحب والجمال في باب خاص بهما ، رجع لاثومه عن ظنهم ، واقتلبي به اخوانه وسلخوا مسلكه .. » او قلت عدد يناير ١٩٠٣ ، صادفت ابيانا من العزل للشاعر احمد محرم ، واقصوصة لفيكس فارس ، وتعريفا بقصة « متاعب الهوى » لصالح افندي جودت « الترجمة بالنباية العامة » ..

ومن عجب امر هذه المجلة ان تنشر قصيدة المنقول في اوائل ١٨٩٨ والتي حكم عليه من اجلها بالسجن سنة ، وغرم ثلاثين جنيتها ، اذ هجا فيها الخديو عباس حلمي ، يوم عودته من رحلته بأوروبا في ٣ نوفمبر ١٨٩٧ ومطلعها :

قدم ولكن لا الفول سيد وعك وان فسال الكدى سيبيد
دخلت ووجه الناس بالشر باسم وعدت وحزن في القلوب شديد

وكانت الحكومة الخديوية اغفلت جريدة « الصحافة » التي نشرت هذه القصيدة قبلها . وقبض على صاحبها .. ويبدو ان صاحبة « انيس الجليس » كان لها من الحفاضة ما يحمي تلك الاراء التجديدية والتورية التي كانت تسيرها سواء عن الاستعمار ام عن تحرير المرأة ام عن غيرها ، وبخاصة قلم نجيب الحداد الكاتب البارز :

ثم يقول امين الحداد في مذكراته المكتوبة عام ١٩٠٤ : « والمنشورة في الكتاب الصادر بعد وفاته بعنوان : « منتخبات امين الحداد » - بالاسكندرية عام ١٩١٣ - وذلك عن صلته بهذه المجلة - النبعة التالية :

« انا الان في نحو السابعة والثلاثين من عمري . وصنعتي الانشاء والتحرير في جريدة « البصر » ومجلة « انيس الجليس » . ولكن اكتب في كليهما بدون توقيع . واتني شاعر ايضا . والشاعر ضنين بمجده ، مقتون بكلامه . ولكني مع كل هذا انعمد ذلك الخلق بالتساهل . فلا اوقع على نظمي بل اهبه لسواي كثيرا . ولو كان جيدا اشرف به . وانا افعل هذا في مجلة « انيس الجليس » خاصة ، لان صاحبها هي « الكسندره افريتو » - وهي

(١) انظر « ديوان اسماعيل صبري » ط القاهرة ١٩٢٨ ص ٥٠ و ٧٢ و ٧٤ و ١٢١ - و « تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرازي » ج ٢ ص ٢٢٦ - و « منتخبات امين الحداد » ط - ١٩١٣ - وديوان « تذاكر الصبا » لنجيب الحداد .. واعداد مجلة « انيس الجليس » ١٨٩٨ - ١٩٠٤ - وكتاب « الشيخ نجيب الحداد » لمانل الغنيان ١٩٥٢

يرون ما أرى ، يفهمون بما أقول ،
فأغلقت الباب ورأيت ومشيت

■

... جلست تحت شجرة الصفصاف ،
أسند رأسي على جذعها الكهل ، بعد
أن يراني الوني
لحاحها متجمد بأطياب الزمن
أغصانها منكسرة من السجود ، تصلي
للاستسقاء
وخالقها مشغول عنها ، يسقي الورد
الناعمة ،

لكن الورد الزاهية تسحر الباب
الشباب ، فيجزونها ، ولبيت على
انصدور ، ثم تلوي ، وتسير السى
الهدم

أين جمالها ؟ أين طيبها ؟
والفصوص تلف كنا ، فيه مصفوران ،
يرتلان ذكرى الحرية ، ثم يطيران
سويا ، طلبا للحياة

أين هما ؟ أين الحياة ؟
انحيت على الصفصاف ، كي استريح
سمعت نضات حثيئة ، أسندت
رأسي واذني ، فتعالت الدقات السريعة
أنت يا الهي كامن في جلع هبلا
الكهل ؟

لم أدر أنك تحيا في الموت ، وتحسن
إلى القبيح
هبطت إلى تلك الشجرة ، فأسريت
الحياة ، أنها تبدو خضراء ، أنها جميلة
شابة

كيف ؟ ومتى ؟ وأين ؟
فكنتها حبلا جامدا ، فإذا هي حياة
ظننتك لا تقترب مني يا الهي ،
فإذا أنت ممي ، في وحدتي ، نسي
هيكلي

خذ قلبي من صدري وأدفنه نسي
ذلك الجذع
أدفنه الهي ، أنا التضحية ، أنا
الحمة ،

أظهر في الجميل وفي القبيح ، نسي
الحياة وفي الموت ،
أما الفرق بيني وبينك هو أنني على
الأرض في صورة إنسان ،
وأنت في كل الفضاء في صورة
الأكوان

من مجامر الصغور

« مجامر الصغور » كتاب من مد الطبع باسم
مختارات كتبت بين ١٩٤٦ - ١٩٥٢

بقلم ثريا ملحس

هناك ... رأيت البشر ،
وأنتهم وأنا في « استيجما » نفسة ،
وصدري يقلى قلقا ونفورا
أويت إلى كهف ، حينئذ وحدي
عرفت الكهف ، فإذا عتاتون ، هالوا
بعدمي

قلت : من لنا يوم اسم ؟
قالوا : ما حدث لك ، حدث لنا
قلت : هل تسمعون حكايتي ؟

قالوا : علمنا قل أن تعلمي
أدخلني ، أنت من أهل الكهف
كنا أجيالا منتظرين



من يكون ؟

من يكون ذلك الإنسان ؟
حاجباه كثيفان ، شعره يتوس على
جبينه ، وأوتاره تحررت الطبيعة ،
وتفور منها الألحان ...

انغماس حزينة ، كثيئة ، هو من قلب
الآلام يصعد الانغام ، على وجهه قناع ،
قناع الموت ...

ما أسمى الموت ! حين يضم جبابرة
الخلود بين ذراعيه ،
نور يعلو ويهبط ،

يبعث عن نقوب العيون ،
يبعث عن القنابر ، عن البياض ، من
الكمنجة ...

هو كالسيفينة في بحر هادي ،
طلما غرد مع الطبيعة ،

وبكى مع العشاق المخلصين
يتبعون خلد أصوات الآلهة
وأثار النبعات في قلبي الكتيب

أراه من بعيد ... بعيد ،
مقنعا ، غائبا عن الوجود

لو كنت صيادا ماهرا ، لرميت شبكي
في الفضاء ،

الملم الحان يتبعون ، وأجرجرها إلى
برجي

لو كنت ... أبه ... يا نفسي ، هو
مدفون في تلك القيمة ، فلتنفجر
الفيوم والحياة كالنبع ، لا ترى إلا
إذا فغرت من طل الصغور ،

والصباون قفروا بحرب أو وتر ؟
لون أو أزميل ،
فكانوا هم الحياة الحية والنبع
القياض

■

... من الأفق ، صعد بخار اصفر ،
جلل السماء ،

وعلى خط الأفق تلال ، ودوائر تهي ،
عيون وأتوب وأصواه مستديرة ،
خرجت من العناد في التنسيق
الإلهي

أرض الجن هناك ،
أغناما ترعى أشباها حمراء ،
نهر يشق التلال ، ويربض مند قدم
الوديان ، لا يتحرك إلى بعيد ، يدور
على ذاته ، كما تلور السواقي

الناعورة

لتصيب غمرًا فاض عن غمر
كالحنوت حين يفسح بالقعر
بطن الثرى بالبحث والسبر
للقاع أطماع النى الدر
ان القضاء يجنحها بجري
ليد مع الاقدار من امر
او كان للانساد والشر
كيلين في سر وفي عسر

كرب تدور بريقة الاسر
غضب بفسر الماء رائحة
وتعوى في الأعماق نائحة
فكانها العواص تجديه
دارت فخال الناس حين جرت
هي لولب القدر المحيق وهل
تسمى ولم يك سعيها لاذى
وتنب بالكيل الذي استلعت

رحبت به الاقدام من وفر
طول الشرى جريا مع الدهر
تصت لها كقوادم النسر
في تساع بلهو مع العمر
تميل بالاعطاب من كسر
ملكاً شديداً السار والسر
ياأنا في السهل والوعر
أو سئرت إلا الى نصر

جئمت بكل كل مجهد دنف
اقت عصاها حين أجهدها
ركزت على نصب مشيدة
درجت مع الاسام من دم
تستعرض الماضي ورويته
شهدت وفصن الدهر نفع شدا
وجحافل الاجرار نائرة
ما غيبت إلا لكيب وغى

بحين ما شالاه من وفر
شدت بأوساق عنى الطهر
بجناح نر طار عن وكسر
احمالها بالجدل من وفر
ان عن بعض الناس بالتزور
ما بين حمد الناس والشكر
لا تأتلي في فلكها تجري

قد حطمت وقرا وما برمت
حقعب بفسر الماء مترعة
تهوي خفافا في مساربها
وتمود تجري وهي مثقلة
تغطى بلا من ولا كدر
في سبها الارزاق سائلة
وكانها الانلاك في قدر

ما ضمت الاضلاع من سر
من لوعة لا تأتلي تفري
اسياهم من غزوة بكر
ليخف ذو حزم الى امر
اهل الحمى بالدمع الحر
من غفوة كعافر الخمر
بشجون والهة على قبر

قامت تبث النهر معولة
سيرت قصر بها جوانحها
تروي عن الماضين ما سطرت
ولهيب بالوادي وجيرته
هتفت مذكرة ومنفرة
فاذا الحمى شاف وجيرته
والنهر آذان تصيح لها

عنان مردم بك

دمشق

فتى من شباب الفتيان اسمه جميل كان يعيش في بغداد او قل في «دار السلام» أيام الخليفة «هارون الرشيد». وكان أبوه تاجرا يبيع الثياب في سوق بغداد. وكان مؤمنا بالله حق إيمانه ..

وإذ بركت النية أباه بعد حين فأصبح «جميل» واحدا من أغنى اغنياء التجار في المدينة فقد ورثه أبوه متجره المليء بالثياب الفالية كما ورثه من المال ما ان مفاصله لتنوء بالصعبة أولى القوة ..

وبكى «جميل» حولا كاملا . ونقل رفاته من بغداد الى «النجف الاشرف» ثم عاد ليدير المتجر الذي خلفه والده ..

وكان من عادة الفتي ان يركب قاربا كل ليلة فينزل في جزيرة من الجزر. وهناك يأكل السمك المشوي ويشرب النبيذ ..

وفي ذات مساء حالت منه الفتاة — وهو في قاربته — الى نافذة بيت من البيوت يتوسط حديقة تقع على شفة النهر فرأى فتاة تطل مجلس جنوة ذلك لان الفتاة كانت تمثل الحبس اجمعه . وشجع الفتى حبا بتلك الفتاة . وعاد الى بيته من فوره ولم يذهب لينتد الى الجزيرة كعادته ودعا بامرأة ذات عقل وحجى . وللمر صندها موضع لا يناله صديق ولا يفتي اليه شراب . وقال لها : ادموك ان تذهبي الى شارع كذا ثم الى البيت الذي يتوسط حديقة حافلة بشجر الرمان . وهناك تحدثي الى الخدم النساء وابعري منهن كل ما يستطاع معرفته عن تلك الحسان التي تقيم في ذلك البيت ثم عودي وقد وعيت كل اخبارها ..

وصعدت المرأة بما صدمت وعادت في صبيحة اليوم التالي وتساءلت : ان اميرة هو اسم تلك الفتاة التي تشبه البدر في حسنه وملاحة . وهي ابنة رجل فقير كان يعمل حلاقا . وهو فارسي من مدينة شيراز وقد كانت طفلة يوم جاء بها من بلده ..

وكان «جميل» في صمم عن حديث المرأة . ذلك لانه كان يفكر في امور اخرى . وما عم ان قال . وهل «اميرة» متزوجة ؟ قالت المرأة : بل هي عذراء .

قال : وهل لها ابن عم او ابن خال او أحد ممن يجوز لهم ان يتزوجوها ؟

قالت : ان هناك عقيات تقوم في طريق زواج الفتاة . ثم استطردت تقول : ولست اخفي عنك انها جاءت الى هذه المدينة فتاة فقيرة . ومات ابوها ولم يورثها مالا . وهي اليوم

اميرة .. وجميل

قصه من بغداد القديمة
للكاتب الانجليزي كميل
ترجمة ميروك ابراهيم

— على الرغم من ذلك — من ذوات الفنى والثراء . بل ان ثراها قد فاق كل ثراء . بل قل انها اكثر منك مالا . فدهشت «جميل» وقال : انبك تقولين انها فقيرة وانها عذراء . فمن اين اذا جاءها ذلك الفنى والثراء ؟ قالت : لقد قلت لك انها عذراء وقد اكد لي عملي في البحث عن سحة هذا القول ذلك لان خدمها وجواربها قد اقساموا يحق عيونهن ان احدا من الرجال لم تلمس يده يدها . وهي الى ذلك قد جسدتها الفنى عن طريق حسنها وجعلها .



فهي اجمل فتاة في «دار السلام» . واعرف — عرفت الخير — ان كسل غني في البلد وكل سري من السراة لا يفتنون بابكاس من الذهب فيسبيل نظارة يستمتعون بها ..

وهذه الفتاة تسمح لك بنظرة الى وجهها لقاء خمسين درهم . وتسمح لك بنظرة الى نصفها الاخرى ملقفا في الدمقس وفي الحرير لقاء مائة درهم . وتسمح لك بنظرة الى جسمها كله وهو في اقل الحل لقاء مائتي درهم . وتسمح لك بنظرة الى نصف جسمها الاخرى عاريا لقاء خمسمائة درهم . والى جسمها كله في اتم ملاحة وهو في الغلال الغالية لقاء الف درهم تؤدي قبل الرؤية . ولكن ان يتم لك شيء من ذلك كله الا وقد جعلت الفتاة بينك وبينها سدا من الحديد لا تستطيع ان تنظره ولا تستطيع له نقبا ..

سمع الفتى هذا القول فجاها النوم وظل في سريره حائرا مسهدا وهو يسائل نفسه : كيف السبيل الى الطفر بتلك الفتاة والتزوج منها بشرط ان اخفي عن معارفي واصحابي اني قد تزوجت فتاة كانت تعرض ملاحة وجهها على كل من يدفعه الاشتها الى الاستمتاع بالنظر الى تلك الملاحة . ولكن الطرق كلها قد عمت عليه ..

ومند الصباح اشتدت به الرغبة لان يتمتع نظريه بتلك التي هام بها قلبه ونهض من فراشه وذهب الى السوق وتوجه الى دكان رجل برع في تذكير الوجوه والازياء . ذلك لان الفتى كان يرى انه ما دام في نيته ان يتزوج تلك الفتاة فاتها سوف يتولاها يومئذ الخجل اذا مرتت انه كان يعرف وسيلتها الى جمع المال . وخرج من دكان الرجل وهو في زي امين من الامناء الترك وقد وضع على وجهه لحية مستعارة من صوف الفنم . وذهب الى بيت «صاحبه» ودق باب الفتاة ففتح له الباب خشي من الحصيان ضخام الجثة . وفي يده

سيف . ووراء عشرة من الحصان .
 وكلهم من الوزن الثقيل . وكلهم مسلحون بالسيف . وجاءت فتي
 ازهرهم معجوز ووقفت قبالة فقال لها
 « جميل » : أريد ان ارى سيدتك
 الحسنة اميرة . فاجابته المرأة : في
 اية هيئة من هيئاتها تريد ان ترى
 سيدتي ؟ أريد ان ترى وجهها ؟ ام
 تريد ان ترى جسمها من فوق الصدر
 وقد تدرت بالحريير القالي ؟ ام تريد
 ان ترى جسمها كله وقد برزت فسي
 الفلال النادرة من صنع اصفيان ؟
 قال : لست اريد شيئا مما ذكرت
 اتما اريد ان اتحدث اليها في مسائل
 يصعب عليك فهمها . .
 قالت : ان هذا شيء محال !

قال : اذا فاليك خمسين درهما
 لكي انظر الى وجهها . فاخذت المرأة
 المال ثم فتحت بابا وسارت بالفتى
 في ممر ضيق يقوم على جوانبيه
 الشخصيان . ثم تركته في غرفة صغيرة
 في احدى حيطانها فقرة حصنت
 بقصبان من الحديد . ومن ثياب تلك
 الثغرة استطاع ان يرى غرمة كانها
 واحدة من غرف القصور وحديثه
 المرأة وهي تغادره بقولها : لا تحدث
 سيدتي حديثا . الا فأتك لنستمع
 بالنظر اليها . .

ودق قلب الفتى دقا سريعا عاليا .
 وجاءت الحسنة الغائبة « اميرة »
 ووقفت خلف قضبان الحديد ففتى
 لمراى كل ذلك الحسن . ولما التفت
 عيناه بعينها فقد كل قدرة على
 التفكير . ولكنه استجمع قواه كلها
 وقال : اي سيدتي اتي بمعوث من
 قبل سيدتي . وهو تاجر غني من
 استانبول . وهو يريد الزواج منك .
 وصداقك عنده صندوق مليء ذهبا .
 وملابس من اغلى اللابس . وهدايا
 كل شيء تشتهي . وذلك اذا وقيت
 بمغافرة بغداد وبمصاحبة لي بلده .

وكان جواب « اميرة » ان اشارت
 بيدها فالتفت النافذة . وحرم من
 النظر اليها . . وملا الحزن قلب
 « جميل » وعاد الى مكانه وقد سئم

العمل ذلك لانه كان قد تولاها الذهول .
 وفي اليوم التالي بل في الايام
 التالية كان يذهب الى بيت فانتسه
 فيعطى المعجوز الف درهم في كل
 مرة لينظر نظرة الى التي سلبت
 نؤاده . وهي في ابهى مجالها . .
 وفي كل مرة يحاول ان يتحدث اليها
 فتلق النافذة وتنتهي متعة النظر . .
 وظل على تلك الحال ستة شهور كاملة
 وتنفذ المال واقفر الدكان . فلما رأى
 نفسه قد بات خاوي الوفاض تنكر
 في زي امين تركي وذهب الى بيت
 « اميرة » وقال للمعجوز : لقد زرت
 هذا البيت مائة مرة ومرة وقد نفدت
 المال الذي اعطاني اياه سيدي الباشا
 ولم لوفق في قضاء المهمة التي وكل
 بها الي . فاذني لي - بدافع مس
 الاشفاق والرحمة - ان ارى سيدتك
 حتى افرغ من مهمتي . . ولكن
 المعجوز اشارت الى الحصان فاخذه
 والقوا به في عرض الطريق لم غروره
 بالسيف وبالغصى غربا مبرحا .
 وركبوا والدم ينزف منه وجهه
 المعجوز يقول للزوجة من غناها
 كلب التركة . . وتنتع عبيدا . . والا
 فان سقني سوف تنتقم منك كما
 سوف تسم من بي الدنيا جميعا .
 واتي لقائلة لك ان سيدتي من اصل
 ملوكي . فقد كان ابوها ملكا من ملوك
 الفرس . اما الملكة امها فقد كانت
 في الحسن آية . وقد اوديت اول
 الامر ابتداء شديدا من وزيرها الخائن
 ثم قتلها بعد ذلك اشنع قتلة . . فلما
 علمت سيدتي الحسنة « اميرة » بما
 جرى لامها اقسمت لتتخذ من جمالها
 - وهو سلاحها الاوحد - وسيلة
 لايراد الرجال موارد الهلكة . ذلك
 لانها لم تر في الرجال الا الخيانة
 والفساد . اما الفضيلة ومكارم الاخلاق
 فهي - في نظرها - من خصائص
 النساء . .

وسمع التاجر « جميل » قول
 الحاد الممعجوز ونهض من وقده .
 وعاد الى مكانه . وقلبه قد اقلبه
 الجوى والحزن . . واتفق ان يمر

بالسوق - مستخفيا - في ذلك
 اليوم « ابو نواس » تديم الخليفة .
 وهو يمتنى ان يسمع تكة يثقه بها
 سيده . ويرى عمه . ويتسبسه
 هجوم الخلقة ومتاعب الحكم . واذ
 هو بطوف بالذكابتي التي تفيض
 جنباتها بغالي الثياب المطرزة من
 صنع دمشق والصين نظرا فراه
 دكانا خاويا على مروضه وقد جلس
 فيه شاب جميل الصورة يبكي بكاء
 تنتشق له الضلوع فراح ابو نواس
 يحيي الفتى ويقول له : هيه يا ولدي
 ماذا تبغ ؟ اظنك تبغ الهواء ؟ فانا
 لا اراى بضاعة سواه . .

قال الفتى : فسر مني يا سيدي
 كما تفسر من الطامون وقد وهن العزم
 مني وغاب العقل . وليست تسري
 عيني الا شيئا واحدا هو وجه فتاة .
 وليس يجني من العذاب الذي اصابه
 الوانا غير ملك الموت . . ولكن ابا
 نواس لم يلق بالا اليه بل جلس .
 وطفق يعطره باسطة حتى قبس عليه
 نصته واغشى اليه بذات نفسه .
 وسمع « ابو نواس » القصة وقال
 ساجيا نفسه : انها قصة تصلح لتسلية
 مولاي الخليفة . . ثم قال للفتى :
 ان قصتي يا فتى لتترك الحسرة في
 القلوب . والحق أنك قد سرت في
 كل ما مر بك وقصصته علي وفقا
 لاهواء قلبك فاذا انت انتصحت
 بنصحي فسوف يرجع اليك مالك .
 وليس عليك بلوغ ذلك الا ان تاتم
 بي ، وان تفعل مثل ما فعل ما دمت
 ترى عيني مفتوحة فاذا اغضمت عيني
 اليميني فلا تفعل شيئا حتى تتحقق
 كل رغبائك .

وصحب « ابو نواس » التاجر
 « جميل » الى دكان التنكر وهناك
 ارتدى كلاهما ملابس الصينيين .
 ولكن « ابا نواس » ترك وجه الفتى
 في غير تنكير ليبين جمالها . ثم ذهب
 « ابو نواس » وفي صحبته الفتى
 وجاء بكيس مليء ذهبا ثم اشتري
 قاربا . واشترى كذلك حمرا صلب
 الفضل . ثم قرنه الى القارب بالحبال

ولكن لم ينزل القارب الى النهر بل جعله فوق الرمال . وجلس «ابو نواس» وصاحبه في القارب . واخذ الحمار يجير القارب فوق الرمال . واتخذ طريقه الى ناحية البيت التي تنجم فيه الميحة فلما اقتربا منه بدا « ابو نواس » يضي الاغنية التالية :

ابا دبا ابا دبا
دبا ابا دبا ابا دبا

وكان الفتى « جميل » يشدو شذوه . ويضي غناؤه . وما لبثا ان رايا نافذة فتفتح . ووجه خادم يبدو في تلك النافذة . وسمع « ابو نواس » الفتاة الخادم تنادي سيدتها وتقول : تعالي يا سيدتي وانظري فهناك رجلان قربان يركبان قاربا يسير بهما فوق الرمال . تعالي وانظري هذه الاضحكة . تعالي وانظري هذه الاضحكة . وسفر وجه الفتاة في غير نقاب . وقسمال « ابو نواس » لجميل : انظر الى ذلك الوجه واطل النظر واستبق لنفسك الحسنيين دعهما ..

ثم وقف « ابو نواس » حماره وخرج من القارب . وجاء بارز ولحم وجمع حطبيا واوقد نارا . ولكنسه اوقد النار في داخل الاناء ووضع الارز تحت القدر . ولم يضعه في الاناء ولم يضعه في الماء . وقالت الفتاة « اميرة » لخادمتها : انظري كيف يطهو هذان الرجلان طعامهما . فالارز ليس في الماء ولن تنضجه النار فكيف يستساق هذا الارز ؟

وقال « ابو نواس » لصاحبه بمد ان ظل الارز تحت النار - لا فوقه! مشر دقائق : تعال ناكل يا ابن اخي فقد نضج الطعام . ثم امسك بمل يده ارزا وقلقه في قميص الفتى عند فتحة الفتى . واخذ « جميل » يقلده فامسك بحبات الارز وسبها قسي قميص صاحبه كما فعل .. وشاهدت الفتاة « اميرة » كل هذا فدهشت وقالت لخادمتها : هيا بنا نزل الى حيث يجلس الرجلان فنمتع

انتقدارنا برؤية هذه الامور العجيبة . وراحت الفتاة . وحيث «ابا نواس» وصاحبه وقالت لهما : مرحبا بكما ايها القريبان . واننا لنرجو ان تغفرا لنا جرأتنا واهتمامنا بهذه المناظر التي لم نشهدها من قبل فمن انما ايها الرجلان ؟ ومن اي البلاد جئتما ؟ قال « ابو نواس » : اعلمي يا سيدتي اننا من بلاد تقع فيما وراء البلاد الصينية وهي بلاد لم يزرها - لم يبعدها - احد من العرب . وملكنا هو الملك الكبير « ابا دبا » وهو الذي اشتهر بالسخاء والحكمة حتى لقد بلغ من حكمته انه تعدد القواعد للسلوك وفقا لاحكام الفلسفة . وجعل الادماء عقوبة لمن يخالف من امره . وهو الذي سن سنة تقول انه ما دامت النار عنصرنا من اقوى العناصر حتى تستطيع ان تحرق الكتبت التي تحتوي الحكمة نفسها فان وضع الطعام فوقها جريمة لا تقدر ..

ومن سنته التي استبها ان ركوب الانعام عمل من اعمال عباد الوان الجليل والهمال والخير من خلق الله تعالى بهمان رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك من سنته التي استبها . ان المجلات رجس من عمل الشيطان الذي يكره الخط السوي والصراط المستقيم . وليس في الدنيا شيء اكثر انحرافا واقل استقامة من المجلات .. وما دامت المجلات مكروهة . وما دام ركوب الانعام محسوم علينا نحن نتخذ القوارب مطايا لنا في السفر سواء اكان ذلك في البحر ام في البر .. وانت اذا سالت يا فتاتي من السر في اننا تضع الارز في اقمصتنا عند فتحة الفتى قلنا : كيف يستيخ الحلق ازرداد الارز جانفا غير مبتل .. وضحك الفتاة وخادمتها لتقول « ابو نواس » ضحكا تخالطه الدهشة وقالت لهما : اتأذنان لي ايها القريبان في ان اجيء لكما بطعام اجد طوبه ترفيها عما قهيتاه من عناء السفر ؟ قال « ابو نواس » : اننا نقبل

شاكرين ولكن بشرط واحد هو ان تمسك انما بالطعام وتضعاه قسي افواهنا . والسر في ذلك ان ملكنا « ابا دبا » يطك مرآة سحرية فهو ينظر فيها كل حين وهو يرى قسي سمعتهما ما يعمل كل فرد من رعاياه . اما انما فلا تبدو صورتكما في المرآة لانكما لستم من رعاياه . وهو اذا رأى ايدينا تدخل افواهنا علم اننا ناكل طعاما انضجته النار . اما انما فلن تبدو ايديكما في صفحة مرآته . وعادت « اميرة » وخادمتها وبادتا تعبان الطعام فذهبتا شاة واوزة ودجاجة وحمامة وقبرة . وبعد سلخها وتنظيفها وضعتا الاوزة في بطن الشاة . وضعتا الدجاجة في بطن الاوزة . وضعتا الحمامة في جوف الدجاجة . وضعتا القبرة في جوف الحمامة . وجاءتا بارز معالج بالزفران لم انضجنا كل ما اعدناه اتساجا كاملا . وقالت « اميرة » لخادمتها : اذا كان في الرجل واحد يمثل الفضائل كلها فهو ذلك الفتى . ذلك لان جمال وجهه يمثل صورة من صور ودان الجنان .. ثم نهضتا حملتا الطعام الى « ابي نواس » و « جميل » . وامسى المساء . واهتد رواق الظلام لولا بصيص من ضوء الهلال الوليد . ولولا ما يبدو قسي السماء من نجوم ..

ثم حملتا اليهما كذلك اقلى النجوم واجودها صنوفا . ثم تولت الخادمة وضع الطعام في قم « ابي نواس » . وتولت « اميرة » وضع الطعام في قم « جميل » وشرب « ابو نواس » وشرب « جميل » من الخمر الى حد الاستلاء ..

وطوق « ابو نواس » الخادمة بفراميه ثم قبلها . ونظرت الفتاة « اميرة » الى « جميل » ومسلات عينها بجمال محياه وامثلا قلبها بحبه وقالت له : قبلني كما يقبل صاحبك خادمتي .. ولكن جيبين نظر الى « ابي نواس » فرأى عينه اليعنى مغمضة . ولذلك لم يغفل

أنا شاعرة

أهيم بفنتنسه الأمره
وطافت بدنيا الهوى الساحره
على وجنة الغادة النسايره
مع النجم في وحده ساهره
تضمهما النشوة الفامره
ترنح اعطافها الزاهره
تهدهد طفلتها الطاهره
وتد طالت القربة الجائره
وفي قلبها لوعة هادره
هواها لهاجرة سادره
وينت اسامه الصاطره
وعين لها نظرة فساتره
وعين على سرها ساتره
وعين يدمع الاسى ماطره
ونجوى القلوب أنا شاعره

بحر الجمال أنا شاعره
بخفق القلوب اذا ما هفت
بسيل الدموع من القلب فاضت
بحلم العذارى سهرن حيارى
بنجوى الحبيبين في نجوة
بشدو الابل فوق الفصون
بترنمة الام حول المهادر
بسوق الغريب الى اهله
بساقية في الحقل نعي
بتلك القلوب التي شفها
بلحظ البنفسج يرنو حجولا
بنظرة عين تشيع الحنان
ونظرة عين تبوح بسر
لعيون تبوح وعين تصون
بحر العيون وهمس الشفاء

روحية القيني

مصر الجديدة

بموجه بيتك وارضك . وذهبك
ومضتك . والناك ورباك . وكل
ما تملكين . وان تعديري بالتزوج منه .
فاذا فعلت استطاع ان يلبي ندامك في
غير خوف او ميلاة ..

ونظرت الفتاة الى « جميل » وبدأ
حبها له عنيفا جارفا . ثم جيء لها
بالورق والاقلام وكتبت لفتاها صكا
ذيلته بتوقيعها . وشهد على صحة
الصك « ابو نواس » والخادمة ...

وتم زواج الفتاة بالفتى وفق ما
يقضي به الشريعة ..

وغدا « ابو نواس » الى قصر
الخليفة . وقص القصة كاملة غير
منقوصة على مسامع الخليفة فضحك
الخليفة حتى بدت نواجه . وامر
لاي نواس بمال كثير ..

مبارك ابراهيم

القاهرة

ودعشت الفتاة لما سمعت وظلت
تراتب « ابا نواس » وهو يقبيل
خادمتها . وزاد فعد يده الى كسم
تميصها ..

واعادت الفتاة القول على « جميل »
ونظر جميل فرأى عين « ابي نواس »
ما زالت مغمضة فقال للفتاة : اينها
الحلوة المليحة اني اعيد عليك القول
ان صاحبي وانا جد مختلفان فهو
بارع في فنه . اما انا فلم ابدا التعلم
بعد . واخشى ان يعرف الملك جليلة
الخبر فيجعل مثواني قصفا يساركني
العيش فيه وحش كاسريزد ويرمده .
واشتد حزن الفتاة على ما لقيته
من صد . ولكن « ابا نواس » جاءها
يقول : اذا كنت تريد ان تقبلك
الفتى فليس هناك غير طريق واحد .
وهو ان يعود الفتى مرة اخرى الى
بلاد الملك « ابا دبا » . وهو لا يفعل
ذلك الا اذا امضيت عقدا تهينته

فعله وقال : المي اينها المليحة الحنات
ان التقبيل قد حرمه ملكنا « ابا دبا »
الا بعد امتحان في فن التقبيل يعقد
مرة في كل خمس سنين ويحضره
الملك وبطانته . ذلك لان « ابا دبا »
يرى ان التقبيل اكثر الامور خطورة .
وهو لذلك ينيهي ان يؤتى على خير
وجه .. اما صاحبي فقد نجح نسي
الامتحان . وهو حاصل على شهادة
تجيز له تقبيل من يشاء .. اما انا
فلم تنح لي فرصة الامتحان بعد ..
ولذلك نسان الملك « ابا دبا » اذا
نظر في مراته المسرحية ورأى شفتاي
تتحركان حركة التقبيل .. ولو ان
صورتك لن تظهر فوق صفحاتها ..
فانه سوف يعرف ان هناك شخصا
تحري عليه عملية التقبيل حتى اذا
مدت الى بلادي كان عقابي ان اقبل
قضييا من الحبيب المحمي فتحترق
شفتاي احتراقا كاملا ..

ولكن روح بن زنباع يستجمع شجاعته ، ويطمئن الى نقة الخليفة به ، فيقول لي ثبات حازم : افسح يا مولاي عما تريد !! اي مأساة تكشف لك في مصرع خاتن عنيد ؟ فاعتدل الخليفة في مجلسه وتطلع اليه القوم في حذر صامت ، وقد ارفعوا اذانهم الى كل حرف يتوله الخليفة ، وانبرى عبد الملك يقول :

لقد جاءني عمرو بن سعيد حين استلقيته في اريصة الالف رجل من اعدائه ، معهم سلاحهم الرابع ، ولديهم عدتهم الواقعة ، فاخلدوا بطوفون بقصري فسي شجيج مزبد متصايح ، حتى خاف اخي عبد العزيز علي ، ورجاني ان اصرف الرجل الى معشره حذرا من العاقبة المتوقعة ، ولكنني قنعت بقتله غدرا ، ورميت برأسه الى ذويه ، تسيل دما من فوق الاسوار ، ثم طرحت معها الالف الدنانير والدرهم فتشائل القوم بجمع المال ، وطار كل ماجور بما حمل ، وبقيت رأس عمرو في الطريق !!

فرد روح في دهاء : هؤلاء رعاغ اوغاد ، لم يكونوا يصمرون الحب لعمرو ، وقد استهواهم بالمال وحده ، فحين اتى اليهم من غير طريقه خلدوه !! اما نحن يا امير المؤمنين فتعطيك عن هوى خالص ، ونبذل ارواحنا في سبيلك طامعين ، وقد جربتنا فيما سلف من الآفاق ، فعرفت من تكون ؟ فلا تظن الناس جميعا بمنزلة سواء ! وقال متعلق آخر : ان الفرق بيننا وبين جنود عمرو ، تكاليفهم في عزة امير المؤمنين وذلة غريمه ! فكيف تقيس فريقا بغير فرق !!

ما لبثت الخليفة لئلا داهية ، ونظر الى المتكلم نظرة مبهمة ، وكأنه يقول في تخايب : اخدع غري فانا اصرف طبائع المالمين !

ودخل الوليد بن عبد الملك فنهض الحاضرون اجلاجا لقمعه ، وانحنوا برؤوسهم الى الارض مجلين معظمين ، فصانفهم في عزة ، ثم تقدم في رزاة هادئة الى ابيه الجالس على كرسية يتالق وجهه بالانتماء ، فمد يده الى يده ثم لثمها ثلاث مرات في ادب حريص ، والتفت الى الملا الواقفين فمناهم الى الجلوس ، شاكرا لهم استقبالهم الكريم ... ثم اعطى الخليفة خطايا قدم به سفير الروم منذ لحظات ، واستاذن في الخروج فاذن له ابيه ، والقوم صامتون يتصفحون وجه عبد الملك ، اذ يتلو الرسالة ثم لا يفوهون بشيء كما اعتادوا ، فقد يكون الامر من اسرار امير المؤمنين .

ومضت لحظات فرغ فيها الخليفة من امره ، فطوى الرسالة ، ووضعها في جيبه ، والتفت الى القوم يستمع الى الحديث .

فقال قائل من الحاضرين ! ان في ملامح اميرنا الوليد مشابه من ابيه ، ولا ارى الامة العربية قد اجتمعت على شيء كما اجتمعت على محبته واجلاله ، فبارك الله لك فيه يا سيدي العظيم ... !!



محمد رجب البيومي

سمير بن المسيب وعبد الملك بن مروان

مناجج من العظمة النفسية

بقلم محمد رجب البيومي

دخل روح بن زنباع على امير المؤمنين عبد الملك بن مروان متلهلا ضاحكا ، وقال في ابتسام مرح : هنيا لك يا امير المؤمنين ، فقد خلل الله على يدك عدوك اللثيم عمرو بن سعيد العاص وبلغك فيه ما تريد !

فقال جليس يتعلق عبد الملك ويجاريه : ومن عمرو بن سعيد ؟ لقد نصر الله امير المؤمنين على آل الزبير بمكة ، وشيعة بني هاشم بالعراق ، وملحدة الخوارج بالجزيرة ، وعاهل الروم بالمصيصة !!

لمن يكون عمرو مع هؤلاء ؟ فاطرق روح ، واخذ مكانه بين الجالسين ولم يشأ ان يفوه بجديد !

ولكن عبد الملك يرفع رأسه في ائزان ويقول في وقار هادئ : لقد كان مصرع عمرو بن سعيد مأساة كشفت معادن الناس نصرت انك في كثير من يداهنون بالحديث . فنظر القوم بعضهم الى بعض حائرين ، وقد خاف كل سامع على نفسه ، فربما مناه الخليفة بما يسوق من تعريض ، وعبد الملك داهية حصيف يلفظ الكلمة العابرة فتهدف الى مرمى بعيد ! !

ثم سكت الخليفة ... واطرق روح الى الارض يفكر فيما يسمع ، ويبحث عن رأي مصيب ، ولكن عبد الملك يقطع عليه تفكيره حين يسأله قائلا انعرف سعيد بن المصيب يا بن زبئاع ؟

فابتعد روح ويجيب مسرعا : ومن لا يصرف فقيه المدينة ، ووارث علم الصعابة ، وسيد التابعين ! !

فيقول عبد الملك : كيف علمك بحب الناس له وتقديرهم اياه ؟

فرد روح في حماسة : لا اعرف بين العرب انسانا يملك قلوب بني الاسلام ، كما يملكها سعيد ، ووالله لقد شهدت من طاعة المسلمين له ، واقبالهم عليه ، ما لو امر احدهم بان يرقى الى قنة جبل ثم يرمي بنفسه الى السبع لتهالك الناس على ذلك ، وكانهم يسرعون الى جنات ناضرة تجري من تحتها الانهار ! !

فنظر عبد الملك الى جلسيه ثم قال : هذا هو السلطان يا روح ، انه سلطان مشاعر وقلوب ، لا سلطان رماح وسيف ! ! نعم لي بمنزل ذلك الوليد ؟ ... لقد فكرت - وهذا سر بيني وبينك - ان اخبط الى الوليد ابنة سعيد ، فاذا اصبح زوجها المختار ، وانتقلت الى بيت الخلافة بدمشق ، وشاع بين العرب ان الوليد قد ضمن حب سعيد ، فستخضع له القلوب الابية ، وتنتسج له الصدور المتقبضة ، ويصبح - من حق - امر الدولة وسيد المسلمين فقال روح - وقد استشف بنظره سريرة امر المؤمنين ورأي الخليفة ان يطمعه وزيره رايه : وما يمنعك من ذلك يا مؤلاي ؟ ولعله اجل بشارة يمكن ان تزف الى سعيد ! !

فقال عبد الملك مستفهما في دهاء : ومن يزفها اليه يا صاح ؟ فاسرع روح يجيب : اذا احزرت نقة امر المؤمنين ، فاني اجعل بالرحيل الى المدينة فاقوم بما تريد !

فهمس عبد الملك يسر الى صاحبه ، وليس معهما احد ، ولكن ليعطيه صورة قوية عن حلدته وحيلته سر على بركة الله ، ولا تبطئ في المدينة لغير حاجة ، فانا في عجلة نتطلب حضورك السريع ، ثم وقف الخليفة ناهضا ... فادرك روح ان مواعده انصرافه قد حان ، فتملس طريقه الى الباب في تأدب حريص

شاهد وجوه المدينة روح بن زبئاع يسال عن مجلس سعيد بن المسيب ، فيعلم انه بمسجد رسول الله ، فيسرع الى لقائه في لهفة ، وبراء ناهضا يتلو القرآن في صلاته بين يدي ربه ، فينتظر متمهلا حتى يفرغ من شأنه ، ثم يتقدم الى يده فبشعها متعائلا متسركا ، ويقول في ادب خاشع :

يا رسول امير المؤمنين ؟

فرد سعيد في تؤدة : وماذا يريد امير المؤمنين ؟ فيجيب روح ابتسامة ذات دلالة سارة ثم يقول : جئتكم

مانتهز روح بن زبئاع هذه المقدمة الباردة ، ووجه الحديث الى ما يعرف فيه سرور عبد الملك فقال : ويمكن هذه الزاهر بعد ان يبلغ امير المؤمنين ما يشتهي من عمره المديد ، مجال سعادة للرب ورفعة للمسلمين ، فليجهر خليفة الله ببيعته في الامصار دون انتظار ، فان ولاية العهد شافرة منذ انتقل الى رحمة الله سيدنا عبد العزيز شقيق امير المؤمنين .

فاطرق عبد الملك اطراقة الفكر ، ثم قال في تحايل : كنت اود ان ارحم الوليد من مآزق الحكم ، ومهرقات السلطان ، وادامك تعاولون ان تخوضوا به فيما اكاد من لجج غواش ، وعواصف قاصفات ! !

فرد روح بن زبئاع في صرامة : هو لها يا امير المؤمنين ، فالود سر ابيه ، وسينعم ان شاء الله بجلال الخلافة الرائع ، وبها بسعادة الاستقرار المكين .

فنظر عبد الملك في وجوه القوم ، وقال في هدوء : جلال الخلافة الرائع ، وسعادة الاستقرار المكين ! !

... اوآه .. ليست للخلافة سعادة يا قوم ، هانذا احارب الاحوال في ميادينها المترامية ، ولا اسكن فتنه العراق حتى يشغب علي الخوارج ، ولا اكاد استأصل الزبيريين حتى ينشق في اوطانهم الزوم ! ! وكل يوم خبر فادح يستنزف الجهد ، ويفري الصم الصلاب ، فابن السعادة التي تظنون ! !

قال قبضة بن ذؤيب - وكان في الخاضعين : استأسي يا مولاي ، والاساد للشدائد والازمات ! ! والوليد اسلم منك ، وسيجني غريز ابيه ! !

فابتسم عبد الملك ابتسامة اشرق بها محياء ، ورأى القوم ما في وجهه من السرور ، فأسهبوا في الثناء على الوليد ، وقضوا الوقت في سمر لذيذ ، حتى اذا حانت ساعة الانصراف اخلوا يستأذنون في الخروج ، وينصرفون مشى وفراش ، وقد استبقى الخليفة روح بن زبئاع لديه ، فلمن من بقي من القوم انه يريد الخلوة به ، فنهضوا مسرعين ! !

قال عبد الملك في همس : قد اطمان قلبي يا روح الى ما عرضت من امر البيعة ، ولكني اريد ان تكون طريق الوليد مهدة مبهدة فلا يصطدم بالاشواك والاصخور !

فاجاب روح في اهتمام : اية صخور واشواك تظن ؟ ان جميع ارجاء الخلافة في حوزتك ولئن طرقت مين واحدة تريد الانقراض ، فلا بد ان ينطفئ نورها دون ان يبرص ما تريد ! !

فقال الخليفة في تعقل : لا نزاع في ان الدولة الان تحت يدي ، وجميع من بها في قبضتي الجبه بهم حيث اريد ، ولكن السماء تكون صافية زرقاء ثم ينتشر الغمام فجأة فتجلبج الرمود وتلمع البروق ثم تنهمر السيول ... ولا بد من عمل حاسم تجمع به الناس قلوبا وضمائر ، لا وعوا ، والسنة على طاعة الوليد !

منه بخير جليل .

فريد سعيد دون أن يمهله : الخير من الله وحده لا من مخلوق ضعيف !!

فيضطرب روح لما يسمع ثم يتدارك ثباته فيقول :

ان امير المؤمنين اياه الله يقدر منزلتك العالية في المسلمين ، وقد رأى أن تكون ابنتك الطاهرة زوجة سالحة لابنه وولي عهده الوليد ، وقد بعثني بشيرا اليك فباي شيء تحبيب ؟

فيقول سعيد - وهو يهز راسه - ما شاء الله !! عبد الملك يريد أن يصهر الي !! انتظر يا بني الى الغد ، حتى آتي الفتاة فاسمع منها الراي فهي صاحبتك الاولى دون شريك !!

فيقول روح في ادب : ومتى اسمع بقلائك الكريم ؟
فريد سعيد في ثقة : غدا في مثل هذا الوقت بمسجد رسول الله !!

فيستأذن روح متربيا ما يأتي به الصباح القريب .

وخلأ سعيد الى تفكيره فاخذ يتأمل فيما حزنه من الطاريء الجديد ، ثم قال هامسا وكأنه يجرد من نفسه رجلا يباده الحديث : ان عبد الملك يريد أن يتخذ مني ستارا يحجب من الناس جبروته البقيض ، ويسكت الاسئلة اذا خاضت في شأن الوليد ، وان هذه الاسرة من بني امية ما افكتك ترمي الناس بكل داهية تنهز القرصة تبني مجده الخاص على نثار الهلجاء للظلمة ، والاشلاء المبعثرة ، والدماء المرافقة ، ولن يكون الوليد اعلى من ابيه ، كما لم يكن عبد الملك اعلى من مروان !! وقد ابتلانا الله به واليا طافيا في المدينة ، ثم خليفة جبارا في دمشق ، فمضى ابن المسيب ستارا يخفي المظالم ، ولسانا يدعو الى البغي والشقاق : الا خاب سعيد وخابت بنت سعيد اذا كانتا مطيتين سريعتين الى طريق الضلال ، لن ابلغ بالرجل ما يريد مهما تخابت واحتال ...

ونظر سعيد فبين حوله فراى تلميذه الفقير الواهن عبد الله بن وداعة يتقدم اليه ، فسأله ابن كنت يا عبد الله؟ لقد تلمستك من ثلاثة ايام فلم اعرف عنك شيئا يا صالح؟ فقال التلميذ في التكسر : لقد ماتت زوجتي منذ يومين بعد مرض طويل .

فرد سعيد : انا لله وانا اليه راجعون ! الا اعلمتنا بمرضها فنموذها ، او بموتها فنشهد جنازتها !!

فقال عبد الله : لقد استحييت ان اتبعك يا سيدي الكريم ، فنظر اليه سعيد متسائلا : لك رغبة فسي الاقتران بغيرها يا عبد الله ؟

فاجاب في ذلة ضارعة : يرحمك الله يا سيدي ، من يزوجني وانا طالب علم فقير لا املك غير قوت اليوم !
فاشرق وجه سعيد وقال : انا تزوجك ابنتي الليلة . واكون مرتاح النفس اذ انزها الى طالب علم يحفظ

القرآن ، ويروي حديث رسول الله ويتجنب المحارم ويحذر التشبهات !

فبهت ابن وداعة ولم يجب !! فقال سعيد : انرفضها يا عبد الله ؟

فاكب الطالب على قدميه يلتمهما في ذلة ويقول : عفوك يا سيدي ابن انا من مقامك الجليل ؟

فقال سعيد في حزم : قم فادع نفرا من الانصار فاشهدهم على الزواج ، فلنكا ابن وداعة مستحييا متحيرا ، ورأى سعيد ذلك في وجهه ، فصفق يديه ، فحضر رهط من تلاميذه فاشهدهم على ما كان ، واصبحت الفتاة زوجة طالب العلم الفقير ، وفي المساء صحبها والدها الى منزل الزوج ، ومعها الخادم والبراهم والدقيق وبسات سعيد ليلته مسرورا ، وقد رد عليا على خطبة امير المؤمنين .

اشرق الصباح ، وقدم روح بن زبائغ الى المسجد نسمع الناس يتحدثون عن زواج ابنة سعيد ، فاخذ يضرب كفا على كف ، ولم يشأ ان يقابل الققيه الورع بعدما صنع فقد انتهى الامر على غير ما يريد ... فركب راحلته واستأنف المسير الى دمشق ، وفي نفسه ثورة عارمة على هذا المتروغ المتشامخ الذي آثر طالبا فقيرا قميئا بما رغب فيه ولي العهد ، ومضى الى تحقيقه امير المؤمنين وكان قاده شاحب ميتش في قصر الخلافة بين الرسول والمرسل ففكر لم يجد الملك بما كان ، وعرض على يديه فيظا ان عرض نفسه لاهانة قاهلية ، لم يكن يتوهمها من احد ، وطلب الى روح ان يكتم الامر ما استطاع ، فلا تقف عليه اذن فسي دمشق ، لم قال لي مرارة كظيمة : وهبني ضمنت لسان روح ! فمن يضمن لي لسان سعيد ؟

ودارت الايام ، وامير المؤمنين يفكر تفكيرا دائبا في الدعوة السريعة الى مبايعة الوليد ، في جميع الامصار الاسلامية بالعهد من بعده ، وقد بادر الى تنفيذ ذلك متخذا وسائله السريعة ، قتلت البيعة في جميع العواصم العربية دون المدينة ... فقد تربت عبد الملك اياه فيجهر جرم رسول الله بما يريد ! اذ ان سعيدا سيعلم اياه بما لا يحب ، فيجذب اليه سواد الناس ، وتكون فتنة عارمة يتصدع بها ثياب الوليد ، وقد عقد الخليفة لذلك مجلسا من خاصته وروى سره ! وطرح الموضوع على بساط المناقشة ليصل الى حل مفيد !

قال قائل من الحاضرين : وهب ان سعيدا قد تخلف عن البيعة يا امير المؤمنين ، فماذا يصنع فرد واحد بين الملايين !!

فرد عبد الملك : لو تخلف عن البيعة مئات من رجال السياسة وذوي العصبة ، ما اهمني ذلك في شيء !! اذ ان جميع الناس سيدركون انه خلاف شخصي لا صلة له بالشرعة والاسلام !! ولكن تخلف سفيد وهو رأس العلماء في عصره مدعاة الى لجأج كثير ...

وحشة

كنت .. وحيدا هذه الليلة
أشرب من بصر الآسى نهلة
وكانت الأسرار
تفترني بالصمت .. والوحشة .. والتذكار

لو مرة تفتح لي قلبها
لنسى لي .. تمنحي حبا
نظري لسي غلة
لو مرة تفتح أبوابها
للقلب .. يا آتت الذي تلا محرابها

يا طيفها في هذه الليلة
مرج على دريسا
يا طيف أحبابنا
ألا لي المنة
وأحمل لها أماني ليلة

بشيداد خالد الحلي

الساعة الحليمة .. وارتفع الصوت المؤمن بالمعارضة ، فسبق
الشيخ الأواه إلى الأبداء ، وضرب بالسياط ضربا مبرحا
وصب الماء البارد على جسده النحيل حتى أغمي عليه ،
ثم حبسوه !

وطارت الأنباء إلى مجلس عبد الملك وقد تحلق حوله
ذوو مودته فتعجب تعجبا شديدا من صلاية سعيد وعناده،
وتزلف إليه مستمع مداهن، فسأل أمير المؤمنين في تعجب:
لماذا لم يبايع هذا الشيخ الخرف سيدنا الوليد ، وليس
بمشمق غيره من أولى النبالة والورع والجهاد ...

فاجاب مستمع آخر ينافس سابقه في الملأ الرخيص :
ان سعيدا يرفض البيعة لسيدنا الوليد ، وأمر المؤمنين
على قيد الحياة ، ولو كانت البيعة بعد امد مديد ان شاء
الله لاجاب ثم اجاب

فنظر عبد الملك إلى القوم وقال في أسف : علام نخدع
انفسنا في سعيد ؟ ان الرجل يعتقد ان خلافة بني أمية
ذات الأثر المتنازع لا تنتج وجهة الإسلام !! وهو على
اعتقاده حريص ، فقيم الجدل ؟

واحس الرجلان بالخجل فانصرفا ... وخرج القوم
وراهما متتابعين .

محمد رجب البيومي

الفيوم

دعنا دابل باب : لعد بايع عشرات الفقهاء في كل حاضرة
من حواضر الاسلام ، فادأ انفق هؤلاء جميعا - وهم حمة
الشريعة ودعاة الملة - على البيعة للوليد، أفؤثر علينا تخلف
سعيد !!

فاجاب امير المؤمنين في صرامة حاسمة : يا قوم ، سعيد
عالم مدينة رسول الله ، وامام أهل الملة بالحجرات ، وآثره
الديني والروحي لا يتعلق به متعلق ، فاتركوا بربكم هذا
القياس !!

فقال قائل ثالث : لناخذ رأيه أولا على انفراد نعباه
يلين !!

فقال عبد الملك في اسف : هيهات ... لقد حاولت
ذلك مرات ، فوقفت على ما لا انحمل ! وتلك فترة احاذر
ان تتسع ذات الشمال وذات اليمين !

فاطرق القوم ساهمين ، ولاحظ امير المؤمنين ما يرين
عليهم من القنوط فقال في حدة : لا بد من الحزم السريع ،
لن ادعوه إلى البايعة كغيره من الناس ، بل أشير عليه
بالسكوت اذا تلا أقاليد كتاب البيعة في المسجد الشريف،
فإذا لم يشأ ذلك ، فليترزم منزله يومئذ فلا يقد إلى المسجد
حتى ينتهي الامر ، فإذا أصر على ملازمة المسجد ، فلينتقل
من مكانه المعتاد إلى ناحية أخرى ، فيأتي الرسول إليه
فلا يراه وفي ذلك كله تهوين عليه وتجنب للخلاف !!

فقال قائل مريب : وإذا ركب رأسه وأراد التشديد فماذا
تصنعون ؟

فصاح الخليفة متفاننا : آخر الدواء الكرم ، لا بد منها
سيكون .
فأمر القوم على ذلك ، وانفرط العقد إذ إبدروا بالخروج
بعد قرار حاسم في أمر سعيد .

وجاءت رسل البيعة إلى يثرب ، بتقديم هشام بن
اسماعيل وإلى المدينة إلى سعيد يعرض عليه ما اقترحه
امير المؤمنين في شأنه ، وقال له في استعطاف : لقد قبل
الخليفة ان يقرأ الكتاب بالمسجد فلا تتكلم بلا او نعم !
فقال سعيد محتدا : سيقول الناس بايع ابن المسيب
اذ صمت !!

فقال هشام : لقد قبل الخليفة ان تجلس فسي بينك
حينئذ فلا تشارك المجتمعين بالمسجد .

فاجاب سعيد في استخفاف : ما انا بفاعل ، كيف
اسمع المؤذن يقول : حي على الصلاة ، ثم لا ابادر بالذهاب !
فكتم هشام غيظه المنفعل في حدة ثم قال : لقد قبل
الخليفة ان تنتقل من مجلسك إلى غيره ، فإذا جاء الرسول
فلم يجدهك امسك عنك !!

فقال سعيد في سخرية : ما انا بفاعل ، اخوفا من مخلوق
احتال على التهاون والانقضاء !!

فانصرف الوالي بالأسا يفكر في الخطوة الأخيرة وانها
لذات عقابيل ... ! وكان ما لا بد ان يكون ... فقد حالت



ذلك في موسم الحصاد
منذ تسع سنوات
خلت، حينما اصططبت
بيتر سرجيفتش إلى
مكتب البريد ذات أصيل ، لنرسل
خطابا .

كان الطقس بدنيا ، ولكن مسا ان
اتخذنا طريق العودة حتى سمعنا
قصف الرعد ، ورائنا سحابة سوداء
متجهمة تسير تجاهنا ، وتقترب
منا ، ونحن تقترب منها .

ومن خلفنا لاح لنا البيت
والكنيسة ، وبلدت اشجار الحور
العالية في لون الفضة ، وانتشرت
رائحة المطر المختلط بالحنشائش
المجزولة ، وكان مرافقي يضحك
باستمرار ، ويمزح بكلام تافه .. لقد
قال : انه يمتنى لو ثلاثي على الطريق
نفاة - قفرا من قصور العصور
الوسطى ، ذا أبراج مستننة ، وجدران
مغطاة بالطلح ، يعيش فيه اليوم ،
كي نحتمي فيه من المطر ، حتى لا
يصعقنا الرعد في النهاية .

لكن الموجة الأولى من العاصفة
اطلقت في حقول الشوفان والجودار ،
ورارات الريح العاتية ، وبدأ القبار
يملا الجو ، وضحك بيتر سرجيفتش ،
وهو الحصان وهو يصيح :

— حسن ! .. حسن جدا !!
واعفاني مرحة ، فصرفتي عن
التفكير في انني سأبذل تماما ، وقد
اهلك من الرعد ، واخذت اضحك
انا ايضا .

انك حينما تستنشق هذه
الرياح ، وتحس نفسك كالطيسور
وسط الدوامة الهوائية في رحلتها
السريرة ، فان ذلك يؤثر في النفس ،
ويبهج القلب .

وعندما وصلنا الى فناء بيتنا
كانت الرياح قد توقفت ، وبدأت
زخات المطر الغزيرة تفرغ الحشائش
والسقوف ، ولم يكن احد عند
الاستطيل ، نقاد بيتر سرجيفتش
الحصان الى مرطبه ، ووقفت انا
صد عنة الباب أنفجر على المطر ،

وكانت رائحة الاعشاب هنا اقوى
مما كانت في الحقل ، واظلم الجو من
السحاب والمطر عقب قصفة عنيفة
جدا من الرعد ، تخيلت معها ان
السما قد انتشقت .

وقال بيتر سرجيفتش :
— ما اشد قصف الرعد ! فسيم
تفكرين ؟

ووقفا قريبا مني على عتبة الباب ،
ونظر الي ، ولاحظت انه يرمقني
باعتجاب ، ثم قال :

— يا تاتاليا فلاديميرفنا ؟ !
انا ابدل حياتي لثما لكي اظل واقفا
هكذا اتمامك اطول مدة ممكنة ، فانت
اليوم رائعة الجمال !

قصّة السيرة المجهولة

لأنتون تشيخوف

ترجمتها عن الروسية

رضوان ابراهيم

ونظرت عيناه بلعجاب وضراعة ،
وبدا وجهه شاحبا ، وتدلعت على
لحيته ضاربيه قطرات المطر التي
كانت تيدو هي الأخرى وكانها تنظر
الي في حنان ، وقال :

— انا احبك .. احبك ، وانا
سعيد برويتك . انا اعرف انه من غير
الممكن ان تكوني زوجة لي ، ولكنني
اريد شيئا واحدا فقط .. ان تعرفني
انتي احبك ! اصمتي .. لا تجيبي ،
ولا تشغلي بالك ، ولكن اعلمي انك
عزيزة علي وحسب !
لقد منحني اعجابك ، وكنت احدثك



في وجهه المعبّر ، واسمع صوته وانا
كالمسحورة ، لا استطيع ان ابدئي
حراكا ، وقد دودت لو اظلم احدث
في عينيه المضيئين ، وان انصت له
هكذا الى الابد ! !

وقال بيتر سرجيفتش :
— جميل منك ان تصمتي ، واجمل
منه ان تستعري في صمتك !

كان هذا شيئا رائعا بالنسبة الي ،
فضحكت بجلء السعادة التي اشاعها
في كياني ما ابداه من اعجاب بي ،
وركضت الى البيت تحت وابل المطر
المنهمر ، وركضت خلفي كذلك وهو
يضحك .. لقد كنا نجرى الى
حجرتنا في ضجيج كضجيج الاطفال!
ورمقني ابي واخي في دهشة ،
وبدا يضحكان .. انهما لم يريا
مرحة كما انا اليوم ، ولم يمتادا ان
يسمعاني ضاحكة ابدا !

انتشعت السحب العاصفة، وصمت
الرعد ، ولكن ما زالت قطرات المطر
تلمع على لحية بيتر سرجيفتش ،
كان يغني ويصرغ طول الوقت
حتى سامة المشاء ، وكان يحدث
ضجيجا عاليا وهو يداهب الكلب ،
ويجري خلفي من حجرة الى حجرة ،
حتى اوشك ان يصرخ الخادم الذي
كان يحمل البنا الشاي !

منذما ذهبت لانام اوقدت الشمعة ،
وفتحت نافذتي على مصراعها ، وكان
يستولي على شعور مبهم .

تذكرت انني حرة ، وانسي في
صحة جيدة ، وانني لغنية ، وانني من
الأشراف ، وانني محبوبة !

والاهم انني نبيلة .. وغنية ، كم
كان هذا شيئا جميلا !

وحاولت ان اعرف : احب
سرجيفتش .. ام لا ؟
ولم استطع ان اصل الى شيء ..
فتمت !

وحينما اصبح الصباح ، ورايت
البقع الشمسية المرتفعة ، تنفذ الى
فراشي من خلال افصان الازيفون ،
عادت الى خيالات الاسم ، وبدأت
لي الحياة ثرية ، متنوعة، مليئة بالحر

رعدة المجرم

اللوحة مقربة .. والطريق مزدحم
تدوني يد اللاتناهي المجهولة
تضطرم الأفكار المتفرقة في الهواري
وتضطرم بللغة نمر
وانا هيهات ان اهدم الامس

الوانها عجيبة .. تنقلني بفومها
فتماثلها روحي
وهي لا تدري اي جمال تاتق
اهو الحب يتلجر بالوانه ..
اواه ... الزحام يخفني ...
.. لقد غابت اللوحة ...

حب هناء طيبي

لقد كان يعرف ان من الضروري ان
ابكي ، وانه قد حان الوقت للبكاء .
ورأيت في عينيه اشفاقا علي ، وكنت
انا كذلك مشفقة عليه ، واتسباني
شعور بالضرر من هذا الخجل السيء
الخط ، الذي لا يستطيع ان يبني
حياتي ولا حياته .

وعندما رافقته لادعوه ، اخذ
يرتدي معطفه ببطء متعمد ، وفي
صمت طبع علي يدي قبليتي ، ونظر
طويلا الى وجهي الباكي .

لا اشك انه في هذه اللحظة تذكر
العاصفة ، والمطر ، وضحكنا ،
ونظراتي الطويلة الى وجهه ، وانه كان
يريد ان يتحدث .. ولكنه لم يقل
شيئا ، بل هو راسه ، وصاففني
بحرارة . اما انا فودعته وداعا حارا ،
وعدت الى حجرة المكتب ، وجلس
على البساط امام المدفأة .

لقد غطيت الجمرات الحمراء
بالرماد ، وبدأت تتمد ، وما زال
الصقيع يطرُق النافذة حائقة ، والرياح
تعزف لنا ما في انابيب المدفأة .
ودخلت الخادمة .. وناديني !!

القاهرة رضوان ابراهيم

كل هذا اصبح ذكريات !
وحينما انظر الى السهل الصحراوي
المتبسّط امامي ، لا اجد فيه احدا من
الاحياء .. ليس في الافق سوى

الظلام والرمب .
وحينما ارى الاشجار في الشتاء ،
والذكر كيف اخضرت من اجلي في
الصيف ، اهمس :

— آه .. يا لاشجاري الحبيبة !
وحينما اري الناس الذين انفتحت
معهم ربيع عمري ، يتأني الياس ،
ويسري في كيانسي دفء الحب ،
واهمس ايضا بمثل هذا .

ويذكر الجرس ..
انه بيتر سرجينش قد جاء .
ان بيتر سرجينش لم يكر كثيرا ،
ولم يتحف كثيرا ، ولكنه كف منذ
زمن طويل عن الاعراب عن حبه ، ولم
يعد يمزج بالكلام اتافه ، ولم يعد
يقبل علي عمله ، لقد اتاهه الملل ،
كما استولي عليه شعور بخيبة
الامل في شيء ما ، انه يعيش علي
الزعم مني !

لقد جلس امام المدفأة شامخا ،
ينظر الى النافذة ، ثم ان لا ادري ماذا
اقول ، واخيرا سألته :
— والان .. ماذا ؟

واجاب :
— لا شيء !

وساد الصمت من جديد ، وسطع
ضوء اللهب الاحمر علي وجهه
الحزين ، وتذكرت كل ما مضى ،
ونجاة ارجعت كفاي ، والتزوي
راسي ، وبكيت ياسي ومسرارة ،
وشعرت بالشفقة والاسف علي نفسي ،
وعلي هذا الرجل ، واشتبهت بكل ما
في من رغبة ان اعود الى الماضي ، الى
ما تاتي علينا الحياة ان تحققة لنا
اليوم .

لم اعد افكر في انني نبيلة وغنية ،
اخذت اتحب بصوت عال ، والطم
خدي ، واعتم :
— ضاعت حياتنا هباء !

اما هو فجلس في صمت ، لم
يحدثني بشيء ، لم يقل لي « لا تبكي »

والعنتنة ، فارتدت ملاسي علي
عجل ، وجريت الى الحديقة .
ثم ماذا كان ؟
لا شيء بعد .

في الشتاء ، حينما كنا نعيش في
المدينة ، كان بيتر سرجينش يزورنا
احيانا ، ان الصداقة الساحرة تكون
في القرية فقط وفي الصيف ، اما
في المدينة وفي الشتاء ، فانها تفقد
نصف جمالها .

في المدينة كان بيتر سرجينش
يتحدث احيانا عن الحب ، ولكن
حديثه يختلف تماما عما كان في
القرية .

في المدينة كما نشعر شعورا قويا
بالحاجر الذي يقوم بيننا : فانا مبيلة ،
وغنية ، اما هو فمستخدم فقير ،
مهمته تنفيذ واجبات الرقابة الثقافية
لا اكثر .

شعر كلانا ان هذا الحاجز عال
جدا ، وسميك جدا ، فاننا فاة
مشهورة وهو رجل خامل .

كان حينما يزورنا في المدينة
يتسم في تكلف ، وينتقد الطبقه
الراقية ، ولكنه كان يصمت في
تحفظ ، حينما يكون معنا شخص ما
في حجرة الجلوس .

لم يكن هناك في الحقيقة حوار
يصعب التغلب عليها ، ولكن ابطال
هذا العصر هكذا .. خجلون جدا ،
وخاملون جدا ، يسارعون الى الايمان
بفكرة انهم سيؤو الحظ ، ومع هذا
لا يكافحون .. انهم ينتقدون فحسبا
كنت محبوبه ، وكانت السعادة في
متناول يدي ، وكنت اميش في
هدوء ، لا يكن ينقصني شيء اطلع
اليه ، ولا شيء من اشياء الحياة
ارغب فيه .

وكان الوقت يمضي .. ويمضي .
ومات والدي ، وتقدمت بسي
السن ، ولكن الشيء الذي ظل يثير
اصحابي ، ويبدو لطيفا في نظري ،
ويمنحني الامل الكبير ، هو ضجيج
المطر ، وزمجرة الزعد ، والتفكير في
السعادة ، واحاديث الحب .

الشاعر المجدد محمود أبو الوفا

بقلم حليم مري

قبل أن أحدث من الجديد في شعر أبي الوفاء ، أحب أن أعلن في صراحة وفؤة بين أنني من المصبيين بشعر أبي الوفاء . وليس اعجابي بشعر الشاعر شيئا جديدا . وليس إعلان هذا الإعجاب بمكانة الشاعر شيئا جديدا أيضا كما أظن . أما فيما يخص بي ، فقد سبق لي أن تحدثت من شعر أبي الوفاء وعن اتجاهات الشاعر الفكرية يوم أن عرض لنقد شعره نقلا شديدا ، استلذا الكثير الدكتور طه حسين في جريدة الوادي عام ١٩٢٤ ، وكان من شأن الدكتور يومئذ أن يؤرخ من طريق النقد أدب ذلك الجيل أو أدب شباب ذلك الجيل من شعر ونثر يوجه خاص ، لذا صبح هذا التعريف . فبعد أن تحدثت عن « الفلاح التائه » و « وراء القدام » وغيرهما ، تحدثت عن « أنفاس مصترعة » لشاعر أبي الوفاء حديثا كان لا يخلو من عنت أو ميتة وكاد القول لا يخلو من سخرية عرفت في أسلوب ونظير أدبنا ولفظنا الكثير الدكتور طه حسين ، فقد بدا حديثه من الديوان بقوله : « يراه صديقتنا فؤاد صروف - باتت يراه انه كاتب نفعت - وجماعة غيره من المثابرين لشعرا » وأنا أسف أشد الأسف لاني لا أراه إلا نطقا . وأسف أشد الأسف أيضا لاني مضى على أن القول ذلك واعلمته إلى فراء هذا الحديث . ولو أرملت نفسي على سجيته لآثرت أن أفرغ لهذا الديوان . ولكن ماذا أصنع ولتند عينا حشوه وتكاثفه التثاقل « وإلى أن يقول : « وقد نارت من حين لآخر في شاعر مجتهد يسمى أبا الوفاء له أشهاد يعونه ويعلمون عليه » وله قوم آخرون يكرونه ويحسون به » وإذا أخذت الضحك لتنت من ابتداء أولئك وهؤلاء شيئا كثيرا « وإلى أن يقول : « رأيت بين يدي دواوين كثيرة منها هذا الديوان الصغير الذي يسمى بالأنفاس المحترقة فافكر الصنوان ولا أسبه » لم يقول : « وأنت تستطيع أن تغري الديوان من أوله إلى آخره دون أن تغري فيه بيت واحد فضلا عن مقطوعة فضلا عن قصيدة يتري في نفسك هذا الرغبي الذي يتري الشعر العادي » أو يبعث في نفسك هذه الالة التي يبعثها الفن الجميل ... الخ ما كتبه الدكتور يومئذ مما استخدمته منه صفحة كاملة في صفحة الأدب . ولعل محمود ذلك الشاعر الكبير القلب الرهف الحس الشديد التواصلح من يكن من رايه أن يرد على ما نشره الدكتور من نقد ، فأتى الشكوك « كما أتى السكوت مثله صديقتنا الشاعر الكبير الراحل ابراهيم ناجي . ولقد خلق في نقد الدكتور يومئذ شيخ من شيوخ الأدب العربي ، ولعلني لا أربع سرا إذا قلت أنه الاستاذ الزيات ، فقال : « كان أسلوب النقد ولا شك مشوبا بصلف الاستاذية ومعت الحزازة وبيت التهم » .. « ولأن الوادي قد أخذت منذ حين لتفتح لإبداء الشيلاب مضجرا في كل أسبوع » وقد تطوع للفتاحة له وعليه أساتذة النقد في « الجهاد » و « البلاغ » وكانت الحملة متينة على صاحبي الديوانيين ، لعلهم الوافي من الإجابة وعلهموا الرقيب من الفن ، فهاجد الشاعر الطبيب ميسع العقاد ، ولفاسي الشاعر المهتمس معل الكاظمي ، وكان الدفاع منهما أثن الحملة أذن الدليل لمصره الجهد في رد القاذب . ولو مني يتبين المعلن كما مني يتبين المساوي لآخى ما ظهر تحت مجهر النقد من عذلة الصوب في نبرة الجمال وروعة الصنعة » .

ولعل الاستاذ الزيات ما يشر بإشارات إلى نقد الدكتور طه حسين

وأن كان قد ألمح إلى الموضوع . وهكذا قدر ليحيى من كسب برطعم بالطبيب أو بالهتدس عائلته أن يردوا على النقد الذي وجه إليهم . ولقي على ما أعلم لم أقرأ ردا على ما كتبه الدكتور طه حسين في ذلك الرد الذي بعث به « كاتب » إلى « الوادي » ، عقب نشر مقال الدكتور بصفحة أيام . فاضطل الدكتور بنشره في صدر صفحة الأدب . ولم يكن الكاتب قد اتصل بالشاعر بعد ، وأن كانا تمارفا بعد ذلك في « مدوة الملتف » .

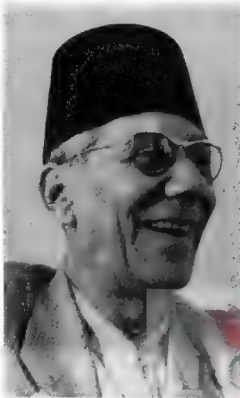
لست أرمي من ذكر هذه التافسة أن ادفع اتهامه عن الشاعر .. فشعره يعي من العناصر ما ينبغي بلونه وجوانه ويؤننه - ألا رؤيت الذاتية والوضوحية في الشعر ، وإذا رؤيت وحدة القصيدة محل وحدة البيت ، وإذا بينا أن الشاعر يعبر من خواطر متشابهة في ذهنه ، وعن عاطفة متشابهة في نفسه ، وأن شعره تنعكس فيه روح العصر ، وهذه الأشياء يهددها النقد بتعديدا قاطعا . فالشاعر العظيم خالق ، ولهذا يتمتع طريقة الشاعر بقدرتها على خلق الألوان التفسيسية التي تصبغ كل شيء ولونه لإظهار حائلته ولفظاته حتى يجري مجراه في النفس ، ككل شيء لتأوره الناس من أشياء هذه الدنيا فهو أنما يعطيهم مادته في حياته الصاعدة ، حتى إذا انتهى إلى الشاعر أعضاء هذه المادة في صورتها المتكلمة فإياها من نفسها في شعره القوي يفضالهم ودفائق لم يكن يرأها الناس كأنها ليست فيها . فبالشعر تتكلم الطبيعة في النفس وتكلم النفس لطيفة . والإنسان من الناس يعيش في عمر واحد ، ولكن الشاعر يبدي وكأنه يعيش في أعمار كثيرة من مواطنه وكأنما يتحول على نفوس متفائلة تبعع الإنسان من أطرافها ، وبذلك خلق ليحيى من هذه الحياة على الدنيا كأنها هو تبع إنساني للأناس يتراف الناس من ليزيد كل إنسان معاني وجوده الكسود ما دام هذا الوجود لا يزيد في مدته ، لا يعرف الإنسان بعد أصابعه ، فتدرك شيئا مما فوق الحسوس وتكتنه طرفا من أطراف الحقيقة الخائبة التي تتسع لظلالها وتطرحها من حدود الفروقات القصيدة التي يعيش لها لفظها تلك الغملي الحرة الجميلة الكاملة . وكان الشعر لم يجرى في أوزان إلا ليحعل فيها نفس قارله إلى تلك اللغات على احتزازات التلم وطرب النفس إلا إذا أحسسته كأنما هو يأخذ النفس لحظة ويردها - وفي هذا يقول الشاعر الخالد « جميل صديقي الزهاري » :

إذا الشعر لم يوزنه عند مسامحه فليس خليقا أن يقال له شعر

والشعر فن ، وأن احتراز في قوة التبع أو في رونقه ما بهز النفس والاعمال جميعا . والشاعر العظيم بهذا الاسم ، أي السلي يتربس الشعر ويستطلع معانيه ويمتدح إلى أسراره ويأخذ بقافية الصنعة فيه ، تراه يبعث نفسه في مكان ما يعائنه من الأشياء وما يتصاغر وصفه منها ما يكثر بمقله على أنه قل هذا الشعر صفاء أليه الإنسانية العالية « وهذا تنويع نفسه على الوجود فخرج الإنسان في طليقته جبهة من معانيه وتصيح هذه النفس خليقة أخرى كل متى داخلها أو اتصل بها . ومن لا ريب أن نفس الشاعر العظيم تكاد تكون حاسة جبهة من حواس الكون . والحاسة هنا هي عقل الشاعر وعاطفته ولفظاته ويعتته ويحسها »

وليست (١) الفكرة شعرا إذا جاءت كما هي مجردة في العلم والفرقاء فهي في ذلك علم مضى ، وإنما الشعر في تصوير خصائص الجمال الكامنة في الفكرة على دقة وبراعة أداء تتم من ذوق ، كما تتجول في ذهن الشاعر الذي يولتها بمعل نفسه فيها ويتناولها من ناحية أسراره فالإنكار مما تعاتبه الآذان كلها ويتواظف فيه قلب كل إنسان ولسانه ، بيد أن الشعر هو فن خصائصها الجميلة المؤثرة وكان الفيصال الشعري نucle من التحل تتم بالأنشياء لتبدع فيها المادة الحلوة للقول

(١) من مقال الرامحي من الشعر .



الشاعر محمود أبو الوفا

والانسور . والاشياء باقية كما هي لم يفرها الخيال وجاء منها بما لا تحسبه منها وهذه القوة وحدها هي الشاعرية . فالشاعر العظيم لا يرسل الفكرة لإيجاد العلم في نفس قارئها حسب ، وإنما هو يستمعها ويحدد الكلام فيها بمضغ على بعض ويتصرف بها لذلك التصرف ليوجد بها العلم والذوق معا . ويعتبره الأدب لا تكون في تقرير الأفكار لغيره عليمًا بعتها . ولكن في إرسالها على وجه من التسديد لا يكون مبنية وبين أن يفهم في مكانها من النفس الإنسانية حائل . وكثيرا ما تكون الأفكار المادية التي يلهمها أفلاك الشعراء والكتبة هي أفكار عقل التاريخ الإنساني ، أو الأفكار تثبت من الكوجات التي تتناول واقع الحياة الإنسانية ، فلا تفصل عنهم الفكرة في أسلوبها القوي الجذاب حتى تتخذ وضعها الترتيبي في الحياة ويقوم على أسسها في أعمال الناس فتتحقق في الحياة المثليات والمتماثلج . ولا يستطيع الشاعر أن يكون مبتكرا إلا إذا أثبت أنه هو غير ملحد بما دان به الأسلاف . ولقد استطاع أبو الوفا أن يبعد عن التقليد والمحاكاة فهو لم يولع بالمفاسي ولم يعلق في ولم يكن إليه لانه بروحه وتكونته العقلي واتجاهاته الفكرية لا ينحدر من تقاليد الأسلاف . وموروث الماضي لهي في غرفه خبأه ورسومه والمثل .

التي لمسر هذا بأن ملكة الشعر إنما ترفي برقي البيئية إذا كان الشاعر متأثرا بها متصلا معها اتصالا قويا ، غير سالك مسالك التقليد أو مدفوعا بموافقه . ولقد وهبت الطبيعة « أبا الوفا » حسن الذوق ودية الإحساس وقوةلاحظة والعديد من الصنويات الموهوبة والتكتسيه التي تثبت تشافعه بما لمج أو يسمع أو يقرأ وانتباهاة هذه كلها مع نفسه أو ما يحسه في أوضاع فؤاده ومكنوناته مما يجعل في شعره . صورة لكل نفس يتنقلها وشيئا لكل إحساس ورسمًا لكل عاطفة وشما لكل خاطر . وحتى استطاع الشاعر أن يصل إلى هذا صبح له بحق أن يعمل نواه الشعر ، فلا يوسم بسمة الناقمين ...

والآن نأخذ مني إلى الشاعر عندما يقول من قصيدة «من الأفعاف» . كانتني فكرة في غيب بيتنها فضاء إلى لافراحي الزمان والخيال ثم استمع إليه عندما يقول :

عهد الجهالات أم عهد الحضارات
فوارق ستسود الأرض ما لبثت
لن تبلغ المجد إلا أن صدت له
هذي الدابات تهني أن يراق دم
باليث شره هل تلي الخراف قد
يهيات يهيات أن اليهم ما خلقت
عهد الصراخ ما بال الصريح به
أحب الصمك للثعبان فيمنسي
هاج الجواد ففكته شحيته
ولم هذا الشاعر يحدد مدى تجاوز الشاعر بالجمع يعيش فيه . ليس هو المجتمع الذي يدفع بالنفوس إلى الكتب والمثقف يدل الیوح والتصريح ؟ لم أيس الكلام نتيجة محتومة للصراع الرهيب الذي يتناجح في النفوس للوالد الطبقية حيث يعبره بعض الناس في دنيا في دنيا الناس ؟ وحيث يعيش الناس في عالم الواقع وهم « مطايا لافراحي الزمانات » ؟

ويعود الشاعر ليصف لنا بعض مشكلات هذا المجتمع فيقول في قصيدته « مواكب العيد » :

اسعدني يا ربة الانشاد
وآخريني أين السرور توارى
أين ما كنت احتل العيد فيه
أينما سرت لم أجد فيه هم
أينما سرت لا أداني إلا
خالصا في اللظى وشوة القتاد

من خريق الآلام للأيام
لذبت لها حسرة الإجهاد
من «أنابيا» في يدي «العداء»
والتياء يلذب صم الصلاد
في ديون لا تعلى بالارماد
ليس مني أحق بالانشاد
خالص اللحن لم يشب بالعداد
جاش اليرق دالم الارماد
وأعاني لواءها في البلاد
وال الصليسيب باليبلاد

في بيوت العمال اقضى دختا
زفرات كاتهن فلوب
بذفهم مرسل لهم فطرات
في بيوت التجار اسبح شكوى
فاطن الاسواق حالت رمادا
اسعدني يا ربة الانشاد
كم تلعت ان السرك صوتا
فاطلي الشجة الذين يصدرى
وأفنى به مفاخر مصر
وأهتشي آل العتيقة بالطر

إلى أن يقول :

اسعدني فانت من فرغت
واقنتني بالعين اذرع غشه
لا ترى بالجمال اتراف منى
وبغلي كل حزن مصل
كل حين له مزاياء متدري
كيف ما صر جاز حرماني مشلي
« أحرام على بلبله السدوح

همني في الهوى وطول ارتيادي
كل قنار من البلاد وبادي
بمزاياء مهارة والعيساد
والسج منه في مصل السود
وله تم موضع بلقادي
حين مثلي يقل في الانساد
حلال للطن من كل وادي

ثم يقول :

علم الظفر ذو التجاحين أنسى
غير أن ظفت ظفري من الشرا
خلق ليس بالجديد عيلنا
وإنا لمرء . أن أمد فظفاري

وهذا الشاعر هو بعينه الذي يقول :

من كان يرجو أن يداوي شبيهه
فتشت أدواء التصوب فلم أجده
الغنى بالجهل كان كالأعمى
الغنى يقتل في التلوس سموها
لا تحسبوها أمة قد حورت
يا مهر مديت السبيل إلى المني
هذا زمانك بالسلخ مدجها
سلي مكالك من زمانك عتوة
في مهر أراى لا يزال تراهيا
في مهر جو لا يزال بهجره
مدى الكتوز لمصر مهر وسحرها

وللشاعر قصيدة يصف فيها « أسدا سجيناً » للفنس فيها الرمزية
التي تلجج بالتشبيه كما تبين فيها وصف الهواجرس في الرمزية
الكلمة بالصور الغامضة التي يدق على الفأريه تبيانا . فلما فهم من
هذه القصيدة مدلولات الكلمات وما تعدده من معنى بل أهم فيها ما
يشاء الشاعر من معاني . وذهب الرمزيون كما فهمه يسمع فيما يسمع
التشبيه به مكان التشبيه في كثير من المواضع وحذف التشبيه في كثير من
المواضع وحذف التشبيه في كثير من المواضع أيضا كما يدخل تشبيها في
تشبيه وخيال في خيال كما قد يتفحص أيضا الاسترسال في وصف
الهواجرس النفسية من غير نهيد أو شرح . ويرى أن التشبيه لوصف
الهواجرس يشاء نذكرهم بها كما أنهم قد يشبهون شيئا بشيء آخر
وهذا الثاني يشبه بثالث ورابع من يعدلون هذا التشبيهات الثلاثة
الأولى خلا الرابع فأنهم يقولون لظفر كي يكون رمزا للتشبيه الأول .
ولا شك أن هذا المذهب يتطلب ذكاء وطلاقة وهم وفائقة وهذه
القصيدة المكتمة « الأسد المسجين » تصور أي حد بعيد مدى فهم
الشاعر للحرية التي يشهدها العقل الذي يعرف أن الحرية هي في
النهاية تقدير للمسؤولية وإنه لا نلام أخلاق بين التزمات الجديدة
لهم الحياة الديمقراطية وبين ما يعمل الحاكم باسم القانون والعدالة
من تدليل بالأزواء والفكرين . وهذه القصيدة كقيلة لأن تصعب الشاعر
في هذا « العقليين » وهم أولئك الذين يبحثون للجمع من فهم
جديدة بعد أن تزعمت الثقة في منطق العقل القديم وإفترع العقل
الجديد تصدي الفخاء المعاصرين على القواعد الرسومة لفهم الحياة
الإنسانية والعقول الاجتماعية .

ولعلني بعد أن ذكرت شيئا من التحق الذي نجاه الشاعر في ديوانه
« الناس متحررة » أستطيع أن أصور النصي التفكير الذي نجاه
الشاعر في ديوانه « عنوان التشديد » والاتجاه التفكير منه « أبي
الوفا » بشأن الحياة وعلاقتها بالإنسان لم يتغير إلا أنه كما أوضحتم
من « العقليين » ولا حرج على الشاعر أن يستجيب لدعاهي العقل
وللهيات التفكير . وإنما الحرج كل الحرج أن تكون دوافعه ومدى معرفته
بالأشياء والحياة شيئا سطحيا . والشاعر الكبير كما يقول « العقاد »
هو من يشرح بجوانب الحياة فيستخرج من شحرة صورة جامعة لكل
شيء فيها وفلسفته خاصة أو نظرة خاصة للعالم كما يذكره هو وكما
يراه فمثل هذا الشاعر إذا سالت من صور الحياة عنده أو عن فلسفته
هو في الحياة أمكنك أن تجداه مفرقة في شحرة بناقضة بسمة تشبه
واشتغال لربسته على كل ما حوله . وأبو الوفا في « عنوان التشديد »

يشر (بسمة نفسه واشتغال) فربحته بفلسفة القوة أو يدبناها فيقول :
ويذكر في هذا المعنى أيضا فيقول :

ليس كالقوة في الدنيا فطيلة
فلت : يا دوعي هل لم وسيلة
قال : ألا في طوح الكبرياء
يا أخي : والأرجع بعني ما يتولى
استمع لي ، إن من حق الحياة
أو يمت كالصوت لم يسمع صماده
ونفي الروح لحبا فاجادها
من وجهه الأسر اعتياده
إن في الإنسان ظلمات القبح
أه لو يتقوى اعتداده وفرادة
أنت يا إنسان للأرض اللبنة
بينما الدنيا جميعا هي لك

ويذكر في هذا المعنى أيضا ، فيقول :

أدم فليكن بالآسرى التلقين
يا صعيد السراي إيماء تلقين
أنه من قوة الطبع نزع
لم يكن آدم مسلوب الجنان
ليس يرقى رجل حر الفؤاد
خبر ما في النفس هذا الاعتقاد

وهذه المعاني الجديدة في ثياب « عنوان التشديد » هي توجيه سديد
من الشاعر الذي يكثر بطله وعافيته مما . والقوة التي يعينها في
بعض أحيائه نوصي بمرور الوصول إلى المجد الذي ينبغي أن يصده
الإنسان فحياته حتى تكون الحياة كاملة .
والجديد من القوة يتناول نواحي عديدة لا تطرح في مجملتها من
المنى لاجد لروح حلق الملق . وقد كان الحسن يقول أن الرجل القوي
هو الرجل الوحيد . وكرو الوفا يبحث في ديوانه الجديد من القوة
يعني الآداة . والآداة شديدة كامن في النفس والإنسان الذي يستطيع
الاعتناء إلى الزيادة في نفسه أو بالتعريب السيولوجي في شخصيته
لا يحميه انتقاء موضوع أو تخير فطيلة لأن فيه من القدرة ما يجعل من
تفكيره أشياء عالية القيمة لا يرقى إليها القسطاء . وسر هذه القدرة
موضوع في السجبة الفنية والظفرة النفسية التي ترتفع وتسمو بالتعليم
والتنشيف . والتجميع القوي في أي ناحية من نواحي الإنتاج لا يطلب منه
نوع معين من الإنتاج للاستجابة . إنما هو يلجس على الجماعة كما يلجس
التحل بانشده . دون أن نوضح له أن أي مهلة شاءه الناس . وشاعرنا
لا يلتزم إيجاد القوة في الإنسان دون إيجاد الحرية في حياته
يتحدث في معنى القوة ولكنه يعني الآداة .

فالقوة هنا ليست غاية في ذاتها ولكنها وسيلة أو هي واسطة إلى
غاية . وأتأمل حالات القوة ما يرمي إلى تحرير الإنسان من ضعفه .
ولعل أهم عمل للآداة تحرر الإنسان من الخوف . هذا الخوف الذي
يتسلط على النفوس البشرية فيحول بينها وبين التفكير . أنه الخوف
ذلك الجبار الذي يرفضه على التفكير أو يرفض المجتمع القوي . ذلك
الجميع الذي يقف على خاروق كما تقول « فرجينيا ولف » في موضوعها
عن أدب البرج اللال . والقوة الآن لا تعبد على أنها وثن وإنما القوة هي
القدرة على تحرير النفوس من الإلهام والتقاليد والخوف وهي القوة
التي تدعونا أن نؤمن بالإنسان . والأيمان بالإنسان هو الإيمان بالحياة
والعقل والواقع . ويقول أبو الوفا بلسان آدم الذي كان في الجنة قبل
سقوطه . ما يعني مطالبة الإنسان بصفه في الحياة كي يحيي ويشر
في حياته بمعنى وجوده . هذا التشديد الذي يجعله يتفكر في العمل
والاستمرار والحرية . بل يتفكر في الحياة وتلوورها وفي العقل
وتورنه فيقول :

فأنا يا صاح بالاحبار كافر ان روح الدين للدوايح دين الى هنا وقد ارتفع الروح وفار حتى ابي ان يعد بالعودة - واذا بالتسامي وفد أصبح رجلا هاديا . ولكن الروح لم يلبث ان عاد وكأنه يعود ليصلنا من القوة في مظهرها الاجتماعية - وريدا بالتلميز - فانجنيد فاسلام والمخل في الفرد والجماعة .

قلت : قل لي يا اخا الروح الرفيعة ما لزوم الدين الا أي شريعة لنفوس الناس ما دامت رفيعة حين ان النفس قد كانت ولوعة بالتسامي والتسامي بالرفيعة ؟

قال : لا ارى النفس الوضيعة في نواحي هذه الدنيا الوسيعة قال : اخلاوا الارابي من كل شريعة

انما والنفس ما زالت رفيعة من اب سوء ومن ام وضيعة كيف نسي الدين او نفى الشريعة ؟

قلت لكنا نرى الناس الطيبة جعلوا الدين الى الدنيا ذريعة ولقد جاءوا باصناف شتىة قال يا هذا : كفى الان وضيعة ذلك نسب الناس لا ذنب الشريعة

ان كل الناس للناس صنيعة ولغصود الناس للناس طبيعة اي داع لم يبعد فيهم سمعة فيبع الله من الجهل صنيعة انما الانبياء آداب رفيعة وهي تلميز جميل للطبيعة

ان لياب التماس في هذه الصوافر الشريعة هو الايمان بالانسان ومحاولة دفع العوامل التي تبايد بين الناس وحلها في حياة ديمقراطية يتحقق فيها العدل بملفونه العلم او المساواة الاجتماعية وهي ما تلمو اليه روح اي دين . ولعلني اردت مع التماس قوله « ما لزوم الدين او اي شريعة تلوس الناس ما دامت رفيعة ؟ » نعم وفي مرحلة هذا

الحوار الجميل بين التماس وروحه يدق التماس الى نفس الفروق والتقاليد التي تحدث بين الناس فلان في الواجبات والفضول ودعونه هذه تعد بطقا لتفكير البشري الحديث . ومعهود تفكير التماس يدور حول نقطة المبدأ الخفية من طريق العلم لان بالعلم وحده نستطيع ان نفهم النفس الانسانية وان نصل الى سراديبها وان نحصل على

الفتح الذي تفتح له الشخصية الانسانية . نعم ويدا نصل اليه كل يوم من التقدم التقني مستهني الى ان نلحد ما يتصل بشخص الانسان من حالات يستطيع استخدامها كغيره في الحياة التي يصيها . وفي

نهاية هذا الحوار الشعري الفتع يسأل التماس عن العصر المحتوم للانسان فيقول :

ان يكون الحق لو العرش الجديد مطلق الابواب في وجه مريد انما الابواب جيبا عتيق ريدا قد كان من ارض العبيد الفتح الابواب للناس الشريد

ايها الابواب افتح لتقريري من تظل من اتت او مالا تريد انه للفتح قد جاد يريد ايها الابواب المتبع للعريد ها هنا يا صاح عشوان التشنيد لا نستطيع الان ان بيت التقصيد ايها الابواب افتح يا يباب ان روحي اسباب في تلك القباب انه في الارابي قد شام الضباب طار حتى لا في هذا الضباب وهي لي يا صاح شرفات الرباب

افتح الفتح اي يباب اي يباب او فقل الروح ما هذا الضباب او فقل ذا الروح مني لم غاب ؟ واتني لم اد ما في يصاب لا تظل تنسي اني من تراب انا فل اء ما اسلى التراب ايهاذا الروح هل لي من جواب هل اقل الصبر ادنو لا اجاب ؟ اي غاب انا في اي غاب فتني يا روح من لم صعب التمسود العرد ، لالاسيد الضباب

للاضباب ارحم او ركب الضباب والاصيب الان في غاب الضباب ان هذا الضباب يركب بالكاتب الاسود اشيء الضباب ان اكن اخطيات في ام الكتاب فالذي في الضباب يكفيه عذاب ثم يقول :

في ربي الجنة مكشوف الاصل كي وريسي انه عيش مصل سوف لا اعمل الا ما يجب

لا واتني لست بالمعصو الاصل انه لا يد لي ان استقل

انه لا يد لي ان استقل سوف فيما لشتة لا اتمثل ذا هو العيش ولا عيش سواء فانني طلي من روح الحياة سوف ارحس لنفسي اي لى للذي ارحس واوجو من اصل ودلالة التماس على ايمانه بالانسان تبين في قوله :

حيثما ذهب او حيث اعمل في ما نفسي لتفسي استعمل ان يقتني منه اعلى متواه

سوف اتمثل الى اني اصل انه لا يد لي ان استقل ودلالة التماس على ايمانه بالانسان تبين في قوله :

وهي ملك التي شاد حشاده واراد اليك ليلاني وراه ملكا وجهه نطق الصماء طيها لم تله حق العباد دون ان تلمسوا ، والاشياء عاده

بيشما الانسان لو شاد انا في الارابي كبرى مجزائه ريدا كان اليها في صفاته حل منه الروح في كل جهانه ليس للانسان الا ما سلك وهو ان شاد او ملك

انه اعطى حق الاختراع ثم ان الروح من في انتظار مد في اتجو جناحيه وطار فلت مدني : قال ان ماد النهار لم يتفقد التماس اسلوب الانتاج الذي يعيش فيه ناس على حسب

ناس وبشري فيه لريق على حسب فريق فيقول : قال كم في الارابيكم الف اختراع عاد لي الروح وقد نهي الانتاج مع هذا اكثر الناس جيعا ايها الناس لا من يتفترع اختراعا واحدا يتفسي الطمع

ويبدوي التماس من داد الجشع اضمنا لي الان هذا الاختراع واتا الضمن انتاج الجيعا ليت من نادى بتحرير البقاع كان قد نادى بتحرير الطبع ولعل سفرة التماس من الذين يشرعون بالدين وهم ابعد الناس عن

فهم روحه سفرة لاداء . فقد المنع بالدين اهله وهو يصهم فيقول : وزنا الروح الى حبر بطين اكشف الحمية مبدوع الجبن قال : يا ستار هذا شيخ دين ان يكون الشيخ ايبس التمن

لم قال الروح : مالا انت ناظر هل يكون الدين للناس مظاهر يا اخي الدين للناس بصلو

ادم قد قال حتى م اقل ليس لي في غير حواء مصل سوف اختار لتفسي ما احب اكيش المعر مهودر السيب انه كان فيه ما لي اي قل في لا يد لي ان استقل او لتشتان كل الفرسه واتا ما لي اقل حيلة اي مخلوق انا في الجنة بيتا احيا كالي فلفلة اي وضع ذلك الوضع العفر ربا معا انا فيه مستجر اي حب لي حق تقرير الصبر هذه اولى واخرى طبتسي اعطني حقني في حريتي ثم خذ ما شئت من جنتي ولكن مهما تكن لي فسنتي ثم يقول :

انه لا يد لي ان استقل سوف فيما لشتة لا اتمثل ذا هو العيش ولا عيش سواء فانني طلي من روح الحياة سوف ارحس لنفسي اي لى للذي ارحس واوجو من اصل ودلالة التماس على ايمانه بالانسان تبين في قوله :

وهي ملك التي شاد حشاده واراد اليك ليلاني وراه ملكا وجهه نطق الصماء طيها لم تله حق العباد دون ان تلمسوا ، والاشياء عاده

بيشما الانسان لو شاد انا في الارابي كبرى مجزائه ريدا كان اليها في صفاته حل منه الروح في كل جهانه ليس للانسان الا ما سلك وهو ان شاد او ملك

انه اعطى حق الاختراع ثم ان الروح من في انتظار مد في اتجو جناحيه وطار فلت مدني : قال ان ماد النهار لم يتفقد التماس اسلوب الانتاج الذي يعيش فيه ناس على حسب

ناس وبشري فيه لريق على حسب فريق فيقول : قال كم في الارابيكم الف اختراع عاد لي الروح وقد نهي الانتاج مع هذا اكثر الناس جيعا ايها الناس لا من يتفترع اختراعا واحدا يتفسي الطمع

ويبدوي التماس من داد الجشع اضمنا لي الان هذا الاختراع واتا الضمن انتاج الجيعا ليت من نادى بتحرير البقاع كان قد نادى بتحرير الطبع ولعل سفرة التماس من الذين يشرعون بالدين وهم ابعد الناس عن

فهم روحه سفرة لاداء . فقد المنع بالدين اهله وهو يصهم فيقول : وزنا الروح الى حبر بطين اكشف الحمية مبدوع الجبن قال : يا ستار هذا شيخ دين ان يكون الشيخ ايبس التمن

لم قال الروح : مالا انت ناظر هل يكون الدين للناس مظاهر يا اخي الدين للناس بصلو

لا نعل في نبي عند السواد سوف تلقى الروح او تلقى الصفاء
ولذلك لم يكن هذا الالتفات هنا في الارض ان كان لسان
والسما والارضى والكل سواء

وابتدأتها كان للغير انتهاء الضيق في كان ابتداء
والمساواة وحقائق الاخاء في في الغاية يا روح السواد
لا . ولكن ان يكن ثم رجاء فليكن في الارض تحقيق الرجاء
ويخرج بهذا الشاعر من قضية الصراع الطبقي في المجتمع ليهيب بنا
الى درس بقية الاخرى في التسليم للتحول بسططن العقل ومعارضته
لا يسطه الفيب من اوضاع . وهذا التحول بالتحرر هو نتيجة حتمية
لإيجابية العلم . وهنا الشاعر يتنادى بالمساواة في العالم ولا حاجة
للإنسان ان شاء ان يحيى حياة كريمة ان يلتمس هذه المساواة في العالم
الاخر اي لا حاجة به الى ما يبعده عن التفكير في الواقع .

ان « ابو الوفا » يذكرني بهذه الفلسفة البشكورية التي ولدت في مطلع
العصر الحديث في القرن السابع عشر الذي اشتد فيه الإيمان بشريعة
العمل مع الابداء في قضية الدين وحرمة تعاليمه ، وكانت فرنسا في
القرن السابع عشر اصعد مثال للتجرب في هذه الظاهرة فقد كانت روح
التجربة على نفاث مطووع من روح العصر الوسيط لان حركة البحث
قد اعدت صوت العقل الذي كان قد خفا في العصر الوسيط وسار في
ركاب الوحي . فجدت الفلسفة الفرنسية في القرن السابع عشر في
ازالة هذا السافر وحاولت ان تقيم التوازن بين مغشيات الطبيعة
واوضاع الإيمان الديني وكررت لهذا فواصل التوفيق بين الفلسفة
والدين . وبدا هذا واضحا في فلسفة مابراثي وسنوزا ولود .

والدموية البروتية الحققة التي يدعوها الشاعر هي ان نخرج الفعل من
كل سلطة نأخر عليه من خارج لكي يساهر منطق في أقصى امكانه ويضع
اراده بالغا ما بلغ ما بينها وبين اوضاع الحرف ومغشيات التقليد -
وهو يرى كما يرى العقلون ان الدين باعتباره ظاهرة اجتماعية يجب ان
يخضع لمنطق العقل - ولكن اذا فكرنا هذا فلا يسلمح الاطلاق -
« كالتأ » الذي كان ينتقد الدين الانساني ويقول انه لا يمكنه ان يصف
على كنهه العقلاني انه لا يعرف العقلاني بالذات ولما يعرف مبروتها فقط .

ولقد كان كافيت سببا في فزعة الفادية في القرن التاسع عشر .
والذي كان كافيت تاييدا علميا في هذه الفزعة مجيء او اكتشاف
نظرية التطور في منتصف القرن التاسع عشر - وهي وان كانت قد
اكتوت فحة التطبيق كما وردت في الكتب الدينية الا انها من الناحية
البيولوجية ، اي من الناحية الاحيائية ، قد اضعفت الثقة بالدين
الانساني وفككت من احكامه المخلقة لانها جعلته ناقضا يتطور . وما
« دامت الافكار عبارة عن العقالة بين اعادة والاهن فهذه الافكار تتطور
ايضا يتطور البشر . والافكار هي تطوره هذا تجعل من التسبيبة ،
فالعلم غايته التاثير والتغيير وسيطه التجربة . والدين غايته
الاخلايا ورسم القيم السامية لحياة انسانية كريمة . فالعلم يعتمد
اذن على الدين الى على العقل الجرد والدين يعتمد على التجربة .
والجددون هم غالبا الذين يتبنون السلوب العلمي في التفكير

ومن مقدمات هذا السلوب اصبحت الحقيبات او موجبات الشاعر
والايمان بموجبات العقل . والتجديد الفكري الاجتماعي كان نتيجة لازمة
للاستعدادات الحديثة الترتبية على الانتاج الميكانيكي اي نتيجة لحياة
الاقتصادية الحديثة التي غشت اوروبا في اوائل القرن التاسع عشر
كما كان نتيجة لبدأ الانتساب الطبيعي العالم على نظرية التطور
لدنوا . وبقاء الاصلاص من الآسسي التي قامت عليها الابحاث العلمية
ويستخلص من مبدأ التعليم - لابتداء سلالات جديدة للإنسان - ان
الانسانية تتطور للتصحيح في سبيل الاجيال المستقبلة بتغيير الرقي
العقلي كتحقيق من خلائق الحياة والواقع - ما يقتضي اقتدار البيئة
ان كل عهد من به التطور القسوي وجود بيئة خاصة به . وشعر
الشاعر في ديوانه ، وبخاصة في ديوانه « الكوسوم » عنوان التشديد

رسالته فكرية يلتمس فيها الشاعر ايجاد حياة جديدة للانسانية على
الارض يتمثل فيها التحرر من الضغوط والعمل بالقيم العليا ، فيم الوا
والخير والتفريق . وهذه القيم تنتهي بالانسانية الى المساواة . ولا
مجال للظن في مخفى تفكيره لان « ابا الوفا » لم يلتمس هذا الجهد
للتخليص من واقع الدين ولما هو يلتمس طريقا جديدة للوصول للحياة
الى الكمال كما هو يدعو الانسان الى التفوق على صفته وجنبت الجهد
لاخضاع الطبيعة وشعره كان يدعو الى اللذة الفكرية والمعنوية الجيدة
عن كل احساس قبيح بما وراء الطبيعة لانه يؤمن برسالة الصغار
التي تتوسل بالعقل العلمي لتزويدها بمختلف اسباب التميم المادي ثم
تستعين بالظن على امتناعها بجمال التشاكل والمواقف في حدود ذلك
العقل العلمي دون الاستغناء بالظن حتى يتجاوز هذه الحدود ويتطلع
الى ما وراءها من قوى روحية غامضة مجهولة . وبالنسبة للظن بوجه
عام ليست هذه الدعوة التي يدعوها « ابو الوفا » جديدة ولكنها جديدة
بالنسبة للشعر المصري - وكاد افول جديدة بالنسبة للادب المصري
ولكنها ليست جديدة على ايدى حال بالنسبة الى الادب الغربي . فلقد
عرفت الفنون في اوروبا هذه الدعوة . فلقد كان فنانو اوروبا
يستوحون المسيحية الخيلة لهم ان جاءت الثورة على الكاثوليكية
التي تزعمها لوتز وكافن والي ان جاءت الثورة الفرنسية وزعمها ،
فكروا روسو وفولتير وفيهما من « العقلين » وتولى العقل تنظيم
التراث والديانة والاحلال ففصل الكنيسة عن الدولة ولم يعد لوعي
الدين في الفنون اثره الاوول . ثم قبل القرن التاسع عشر ، تلقفه
الثورة التي قامت بها الاثنا شتار الى بالغو السامد ولما بلغ الوعي
الديني . وويل ان يستوحى الفنون اوان الدين مادة للتعب خضع وجهم
فلسط العلم والعقل واتى الفن بصور التشاكل والمواقف تصويرا
هو في نفسه الوسيلة والغاية ، فالصور يترن عقليا في ابتكار تخيل
جهد للفهم والاشكال « كيكباسو » ر . والوسيطي يترن عقليا في
تصميم جمته . جدمه لتلائم « كساي » . والروالي يمد الى تحليل
الجول والمواقف والافهام كمارسيل بروسر . والشاعر يترن عقليا
لاستاذ اركان جديدة واقعية مستعده ما يراه ويحسه من تغير في
اسلوب الحياة - ومعنى هذا انهم يستعينون بالعقل لتجديد الافكار
الخارجية للظن - وليس معنى هذا انه لا الى للجابب الروحي في هذه
الفنون . كلا ان الصور الحديثة والوسيطي والشاعر والروالي يطمح
الى احداث الى روعي بالغ ولكتهم يحسون الاثر المادي اللوي ترب
حياتهم وان الصل العلمي للحل المتزن لا تزفه المواقف التي تسي
في ميوقات وعقائد فبببة ولهذا فهم مضطرون الى ان يدرسوا النفس
على صواب العلم ومن طريق الاساليب العلمية العلمية البحتة يعدلون
لذلك الاثر الروحي الجديد الذي لا يرمي الى تعريض المواقف الانسانية
للمشركة بل الى الاستعاضة بغير من اللذة العقلية الفكرية التي تعصبها
النفس خارقة والتي تحول غايتها في نفسها . ونحن عندما نتكلم عن
حاجة الفن الحديث والادب الحديث الى « الروعانية » لا نقصد بذلك
انه في حاجة الى الدين كما كان يلهمه قدامى الفنانين او الكتاب من
انهم لا يد ان يتأثروا بذهب ديني شائع يستوحونه نظريتهم في الحياة
كي تتوافر في فنونهم عناصر الانسانية - لا وانما الذي نقصد ان يكون
للظن احساسا دينيا بمعنى الوجود - هذا الاحساس الديني يدعو
الفنان الى ان يفكر في الجمال وهو مشرب البصر نحو الكتل الاملى وان
يؤمن بقدرة البشرية على التفوق على نفسها وتعظيم الخليات . واذا
ذكرنا الابداء الذين تتمثل فيهم هذه النزعة التطبيقية نجد « طلود »
شاعر الهند المتصور الذي يؤمن بوحدة الوجود وارتباط مظاهر بقوة
شمع نمر الى مثل اعلى ، ورومان دولان الكاتب الفرنسي وهـ ، واز
الذي كان يدعو الى ايجاد حكومة اعلى لخير السلم وتغييره . وانا من
العقلين بان للفنان ان يؤمن بأي عقيدة على اساس ان تكون انسانية
تتوح للشرية باخيلة راقية ببيئة يتطلع اليها الناس ويشعرون انها



الاريب

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بدوها شهر

بشائر ، كانون الثاني

لدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

القبائل التي ترسل إلى الاديب : لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : ٢٢٢٨١٩ ٢٢٢٨١٩ Direct : 228819
البريد : ٢٢٥١٣٩ 225189 Die. : T61

توجه جميع الرسائل الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

مكلمة لعبايهم ، والله لا قيمة للحياة الا بالتطلع اليها ومعاولة تحفيها
ومهما يكن من شيء « فابو الوفا » في شعره الجديد (٢) صاحب
محاولة جديدة في التصوير الشعري هي محاولة جديدة في التفكير
ايضا لمثلها تخالف محاولات القدامى من الشعراء الحديثين . فابو الوفا
لخص اساتذته في اللغة والصفحة قوية . وهو دون شك قد اطلع على
الادب العربي القديم من مصدره . وهو دون شك قد رأى اشياء من
الادب الأوروبي الحديث متغولا من مصادر الاصلية . ولعل الشاعر قد
اغدا ، كثيرا في زيارته الثلاث لاروپا . ومن هنا نرى شعره الحديث
يحمل الصراع بين الواقع والمثالي ويشتمل بالعصف في التمتع عن الحياة .
وهو صورة واضحة لتفاعل وجدان الشاعر مع الحياة ، وهو إذن تجربة
فنية صادقة . ان الشاعر في « عنوان النشيد » نافذ للجمع وموجه
له . والاديب الصادق من كان دليل زمانه الى امد من زمانه ، ومهمته
في هذا العصر محاولة بناء عالم جديد ارجب واجمل بكثير من عالمنا
المتدها التهم . هذا العالم الذي يعفقه الشاعر اللباني الكبير
ميخائيل نعيمة يقول عنه انه تهدم وتكاد انقاصه تسحقنا سحقا وعلينا
نحن رجال الادب - ولا علة لنا الا المفكرة او الكلمة - ان نطرحها متحونة
بالصدق والصل والحب متزعة من القوالب دائمة للايمان بالانسان
بقيمة من الشك والخوف والتردد والعمل نحو التجديد الفكري -
والتجديد في الفكر معناه التجديد في الحياة وهو بذاته التجديد
في الادب .

يقول طرمان عن التجديد في الشعر - « اريد ان اخرج من الابتذال
والا اخرج ما طرقت الف مرة لافيش به يعيش في زمني واباري واجاري
اسمى ما نلسمه فرالج اعظم الادباء من الاجانب الذين اصعب على
اتصال دوهي ولغتي بالله بل في مقطع يسي ويستم .
اريد ان اسجد الابيات البيئات يتعطني بها عصري واتا كاشي بمقول
عنه ولا شغل لي اربعا الا ان ارجع بقلبي الي ما كان لافيشه خلب
ما احس كما احس الناس في هذه الحظب والا اكسون اذا فلتحت
وادمجت شيئا من محدثات اياي في كلامي المصنوع موكلا تلك الايام
كمن جر جرارة شبيهة بالكف وكمن يكلف الآلة العربية من الهمه
لمجاراة زمنها ما هو ضد حياتها - وخلاصة ملخصي هو ان يستمر كل
ما في مفردات اللغة وتراكيبها واساليبها السلمية الفصيحة وان تمثل
المادة تمثيلا لم نعملها وهي بصوره الى العقل فنفكر ونبتكر ، والا فان
لم يكن الشاعرا الا حاكيا لقده فما حاجة الناس اليه والسابقون الفصح
منه لاسما واباغ بيتا واحدا على التصرف في اللغة الطبيعية التي
اخذوها بالرفاع .

اريد ان يكون شعرنا مرآة صادقة لعصرنا في مختلف انواع رقيه .
والجديد الذي يعليه الشعر في « عنوان النشيد » هو التراب
اللغني في هذه الكلمة من اول بيت فيها الى اخر بيت . هو الاحساس
الذي يحسه القارئ بحركة في عادية تزد فكه هذا . وهذا الاحساس
او على التقيق هذه المؤنة نقابل في اعماق بياضه صورا مستكنة لم
يكن من السهل يفر هذا العارف القوي ان يشرها ، وهي تجعله في
النهاية يرى بعب جديدة ما لم يكن يراه من قبل - أي ان الافاق تنسع
امامه في حياة اشفق ونديا اشمل - ومصدر هذا كله التمسق في
المعرفة . وكما تنمق في المعرفة يجب ان نمدور مع الحياة . ولا بد
من ان يتطور العقل وعندما يدور العقل في طريق التطور نرى جواتنا
متعمدة . وعند ذلك ندعوا الحياة الى المزيد من الحرية التي تتطلبها
العقل كما ندعوا الى المزيد من حمل التيجات . ولقد فرغنا النصوص
التفدي الذي احتوته هذه القصيدة للتمعة القوية وهو « انجاه » جديد
في الشعر يدعو للكفاح اي للتفكير في رقي الانسان والجمع .

(٢) وديوانه الجديد الموسوم « شعري » يضم مائة من نظمته

حليم متري

القاهرة

المسرحية وإيحاءات التعبير

بقلم خالص عزمي

أو العين يتحول في اللحن إلى محاكاة عقلية سريعة ، تعتمد كلياً على قابلية الشخص في تقبل الحوار والخروج منه إلى ما يوحى ، غير مرتكز على الذوق أو رنين الجمل ، وبلاغة الأسلوب فقط ، بل يروح إلى أعماق الإيحاءات البعيدة ليجعل منها مادة تكيفية لمفهوم المسرحية ، بشرط أن لا يخرج عن إطار فكرتها العامة .

وأود أن لا يتصور أن التركيز على جملة أو تعبير أو مقطع من حوار غير مهم جداً ما دام استيعاب المسرحية ككل يؤدي إلى الغاية .

إن هذا خطأ شائع : أن لكل جملة من الحوار استقلالاً ذاتياً إذا ما كملت غايتها ، ولكن علينا عند الانصات أو القراءة أن لا ندع هذه الجملة تفر عن إطار المسرحية ، إذ تكون بذلك قد همننا ركنا عظيماً من العمل الفني وهو الحوار وإحاطته إلى مجرد اختصار كسول لفكرة المسرحية بشكل عام : إذ أن في الحوار والأسلوب الفني لا في الفكرة فقط يكمن نجاح المؤلف وطاقته في السيطرة على جزئيات المسرحية حتى ينتهي بها إلى الفكرة الموسعة التي يهدف إليها .

هناك أمثلة هائلة في الأدب المسرحي على ما قدمنا ، إن الإنا من المسرحيات منذ أريون وأسيقلوس وسوفوكليس حتى يومنا هذا تستطيع أن تعطي صورة واسعة واضحة للإيحاء التعبيري في المسرحية . ففي أوديب سوفوكليس نقف عند هذا القطع الوصفي الرائع حيث يقول أوديب « انظر يا سيدي » يا سيدي المظلم ، يا لسحاب الغيبض الذي سب علي ، يا لسحاب الذي لا يوصف ولا يفكر ولا يتقي ! وأحسرتاه ! نعم وأحسرتاه ! بأي سنن يطعنني الألم والقدري » .

كم صورة متلاحقة نستطيع أن نلتقط من هذا التعبير ، إن الأوصاف هنا بعيدة وإيحاءات التعبير أبعد ، وهي تشير إلى الألم والشكوى والخوف والقلق ، أن كلمة وأحسرتاه : فيها صوت هادر أسود للنوم ، وفيها هزال لطافة إنسانية كبرى كالتي يمتلكها أوديب ومن هذا التعبير تستطيع أن تدع العشرات من الإيحاءات بسهولة إذا ما دقت المعنى وفكرت فيما كانت عليه نفسية أوديب حينما برز في قوله جانب الحيرة والرعب .

وفي مسرحيات الأدب الفرنسي في القرن السابع عشر يظهر في المسرحية وعلاقته بالتعبير الموحى بوضوح أكثر حيث يستغرق الحوار الطويل وقتاً ويعطي فرصة لأن تكون التعبيرات أكثر شمولاً ووضوحاً . في فيدر لراسين نجد الخوف والقلق الذي تحدثنا عنه في أوديب يظهر هنا بسيطاً واستغنياً ، ولكنه عميق يدل على التحسس بالفضض وضعف القدرة على مجابهة القوة الضخمة : هذه تمنح في جملة بسيطة دعائية على لسان أونون حيث يقول : « أينما الإلهة القادرة على كل شيء لتطفئ دموعنا غضبك » .

إن علاقة في المسرحية وكتابتها وما تلمح إليه وبصورة

كل عمل فني أصيل يحتاج إلى أدوات ذات قيمة لكي يرتفع بنيانه ويصبح ذا أثر في الأذهان . والمسرحية بما فيها من تركيب عملي وشكلي تعتمد كلياً على الجانب الإيحائي في التعبير : ولهذا فإن اللغة هنا عملية خلق متطور ليهكل المسرحية والمفهوم العضوي لنحوها في اللحن ، سواء بما تجيبه به من أفكار أو تلاعب من اللفاظ .. على أن اللغة هنا لا تعني إجتزاًر لمعنى الكلمة - مجرد كلمة - حتى لو كررت ألف مرة في الحوار ، بل يكون انطلاقاً وحياتها معتمداً على التركيب الحوارى للجملة من جهة ، وما يولده صوت الممثل أيضاً وذلك بموجب تخطيط هندسي فني يضعه الكاتب لمسرحيته ويجعل من الحوار كل مادة عملية سريعة لإيصال الفكرة إلى المشاهدين ، وهذا يعتمد بالدرجة الأولى على الإخراج أو الطريقة التي يتبناها المخرج في تيسير إيصالها على ذلك النحو . هذا

في المسرحية التي تشاهدها ، أما في المسرحية الفنية فقد تصبح على عمقها ، أسهل للفهم من تلك التي تشاهد حيث تتلاحق النماظر ويلتص الصوار . إذ أن استيعاب المسرحية الذهنية يتصل ويتأكد بتكرار التفكير بالمعنى والتركيز على الجوانب الغامضة فيه : وهذا ليس قاعدة في كل الأحوال إذ أن تحريك وحدات ومجاميع الحوار ككل في المسرحية عملياً يؤدي إلى توضيح أفكارها أيضاً ، إذا ما كان كاتب المسرحية فناناً يعرف كيف يجعل من مواد الحوار أدوات مطروعة بين يديه يخلق منها ويدعو عوالم من الأفكار والتمتع في آن واحد ، بأسلوب غير ممل وفي إطار من تعبير ، يظهر لأول مرة كأنه مادة مجردة فني أنه وأقربها ذو إيحاءات بعيدة ، يصعب المؤلف بأسلوب فني منسق مدروس ، ليس للقوية أن تجد لها منفذاً فيه ، وعند هذا الناتج تكون المسرحية قد استطلعت عن عمق وإصالة في الفن أن تؤدي مهمتها بيسر لا تعقيد . وهذه المهمة صعبة ، إذ فيها يتكامل واجب السيطرة على مجموعة حية من حواس المشاهد أو القارئ ، وعند ذلك يتحول أو يتحول مجموع العمل المسرحي إلى إيحاءات تمثيلية متعددة الجوانب ، تتركز بصورة مباشرة على الحوار الترابط ، حرفاً وكلمة ، وجملة ، وحركة ، سواء أتمت عن طريق الإلقاء أو الهمس الذهني لذلك الحوار .

من هنا نستطيع أن ننفذ إلى تلك الرابطة الواسعة بين المؤلف والمشهد أو القارئ ، بحيث كل ما تلتقط الأذن

اتباع النور

لنسر ... إيمان تسير ...
وكانها تنف في عيسرها ،
وأنا أسر ... لا أشعر بها تلونني أو ألونها !

كالوردة ترى شوكها غريبا عن أريجها ،
وأرى أنا في شوكها أريجها ،
وفي أريجها شوكها !

كالقابة ترى أنها زلزل اسد وشراسة نمو ،
وأنا أرى في زلزلها وشراستها
أشجارا جبارة بأسلة تنمو للحياة ،
تحت نور الشمس وبين الليل لمجدها !

والعسل ميني والخبثها ،
فتلغني الإشباح ، تمشي بي ، واسير معها !
وتفسك لي الوردة .. تلز في قلبي أشواكها
وتطوف على أجلي أريجها !

ونعز القابة .. فليس في نفسي هدبرا وزلرا !

أروني نور الشمس .. في لهلة وحسرة
أبتلني إلى الحياة ، تنمو في فاجئها !

وعلى عقده من شعاع النور
تلغني الإشباح والها !

حلب توفيق اليازجي

وتقوية . وعند ذلك تبرز - طاقات إبداعية وغائية وتخرج
من محيط التعبير الخاص بكل جملة من الحوار إلى مجالات
الإبداع الواسع، وهذا يقتضي ممن تصل أذهانهم المسرحية،
قابلية وتهديبا مسرحيا خاصا لتقبل ما يهدف إليه الحوار
اليدروس .

والكتاب المسرحي الساجع لا يهدف في سبيل خلق
موحيات ضخمة التقيد وأسماء مسحة الرهبة والغموض
على عمله الفني ، بل أن فنه ينصب ، لا شك ، على خصوصية
العاني كدوات حية ، وعلى البيان المشرق واللغة المتينة ،
بحيث يجعل من المقطع الكامل لأي جزء من الحوار ، وحدة
قائمة بذاتها من جهة ومرتبطة بالتعبير العام إجمالا بنفس
الوقت ، وبذلك تضمن حياة المسرحية فتخرج من التحديد
الخائق إلى عالم فسيح من الإبداع ومجال بعيد للخيال
والإبداع .

خالص عزمي

بغداد

حاسة المسرحية اللذهنية ، بالمسافات البعيدة للتعبير
وابحائه ، تبرز في مفهوم التشديد والتأكيد على فكرة
ما تكون مهمة للغاية في نظر المؤلف وتستطيع الصياغة
« التكنية » الباهرة للمسرحية أن تبرزها في جوانب
متعددة منها . المثل الذي نورد هنا هو ليوجين أونيل
حيث يأتي على لسان (أندرو) في مسرحية (ما وراء
الائق) ليعطي فكرة ذات تركيز ، لها معالم الحوار الإيحائي
الذي يبقى صادقا في الذهن ولا ينسى . يقول أندرو
(نحن نسعى هذه مزرعة ولكن يجب أن نسمع عن
المزارع هناك عشرة أميال مربعة بينما مزرعتنا لا
تزيد على فدان أنها بلاد جديدة تبدأ فيها المشروعات
الكبيرة . انتسي اود ان تعمل عملا ذا أهمية قبل أن
اموت) ان أندرو هنا رجل طموح ، هذا هو المظهر
الواضح من التعبير : ولكن المسافة الأبعد له تذهب وتضرب
الهدف الحساس فيه ، وهو اقتناص الوقت ، والغائية
الواسعة قبل الموت وما يلعب فيها خيال التملك وعدم
القناعة . وأذن هنا يؤكد المؤلف على تحديد معالم شخصية
أندرو الطموحة ، ومن ثم يؤكد على أن للطموح الإنساني
لا تعد مزرعة متواضعة يعمل بها فلاح يريد أن يعيش ،
بل تتمدها إلى هدف أوسع ، ولكنه في نفس الوقت
لا يخرج على نطاق النوع . وهو هنا (مزرعة أكبر) .

في مسرحية (الأفواه الأجمدة) لسيجون ديروفاو تقول
كلاريس : لقد عشنا ثلاثة أشهر كأننا غربان ، ولم نشعر
لذلك بأي ملذات فما جدوى أن نلتقي بعد ؟ ويجيبها بيز
أكان خيرا لنا أننا لم نملد ، فلو أن غيبك قد حفرت
فراقا في نفسي ، لو أن صورتي أخفت عنك العالم لكأن
ينبغي لنا حقا ألا نلتقي بعد) .

هنا يظهر المفهوم البعيد واضحا ، ولكن بالسهولة التي
تتصور لأول مرة أن طائفة من التفكير يجب أن تستنفذ لكي
تلاحق دقة المعنى وسير أفواره : فهناك كلمات متناثرة
(عذاب ، فراغ ، لقاء ، عالم) ومنها تتجمع مساحات
واسعة من الإيهامات ويعد هائل من الخيال في جمل
(فما جدوى أن نلتقي بعد) و (فلو غيبك قد حفرت
فراقا في نفسي .. لو أن صورتي أخفت عنك معالم ...)
هذه الموحات ذات الزخم الغزير في الإيهام تبرز في اللوحة
الفنية بصورة اختفاء العالم من ناظر الإنسان حيثما تحب
فإذا صورة من يجب هي كل شيء أمامه ، ولكن موحيات
الجملة هنا تتصرف أيضا إلى إبعاد من ذلك ، إلى ما توضحه
جملة وحركة مسرحية أخرى هو ما تأتي به العاني في
تعبير (لكأن ينبغي لنا حقا ألا نلتقي ... بعد) وكلمة
(بعد) فوق كل ذلك ذات وقع معبر ومركز .

من كل هذا يمكن لنا أن نربط بين ما ينبغي المؤلف من
وراء تعبيراته التي يشدها إلى الفن بقوة وعمق رابط الحوار
الفني وتحريك شخص المسرحية في إطار من التناسق
بين أسلوبها الثمين وفكرتها التي تلسم مفهومها لكل

الاغنية المرحة

لن اتركها تنمو
كالاجنحة الليلية فوق الموتي
لن اذرع بأسا في أي طريق مهما انعزق
اعرف ان اليأس
تقوب في اعماق الزورق
وستاتي انت قريبا من بين الغاب
كي ينطلق الشيوخ بماله
وستاتي كي ترحل اشجار السنت السوداء
كي تعبر تضحك شمس فوق الوادي
عد لي يا ازوريس الاخضر
عد لي فك حناجر كل الطير
كل جلدور الوادي تشكو
جلد بيكي جلد
عد لي سوف نهر بايدينا
هذا الكون الاصفر
القرية بعدك بيت لتيتم مقفر
عد لي كي يبت قمح
ليطسى هذا الوادي
ما اكتر ايلام الوادي بعدك يا رب الابواب
يا سوستني ما زالت ايزيس التكلي تتوسل
وتظل على طول الشاطئ ترحل
باحنة عن ازوريس
سائلة عنه القاب واشجار الصفصاف المطرق
منذ رايت الجبل الازرق في مينها
جبل الحزن الاشيب
وفؤادي لا يعرف كيف يعني كيف يحب
لكن اقسم يوم يعود العام الاخضر
يوم يعود لايزيس اله الخصب
فلسوف اقدم قلبي قربانا في مجمرة الحب
اما الان فعلوا يا سوستني
من اجل النعمة لي عيني ايزيس التكلي
من اجل الغائب ازوريس
لبست اطبق اغني يا سوستني الفرخة
لست اطبق اغني
من اجلك وحده اغنية مريحة

قالت دعها
دع اشجائك تستلقي فوق غدير
قل لي كيف يعني هذا العصفور
قل لي عن اول انسان ذاق القيلة
زحزح من عينيك الجبل الازرق
جبل الحزن الصخري المائل في عينيك
لكان الدنيا ضاعت من كليك
وكأنك انت خلقت العالم
ولهذا جئت لتحمل همه
قل لي من ذا يحمل همك
دع اشجائك ولتنشدني اغنية مريحة

يا سوستني حقا لم اخلق هذا العالم
لكني عانيت عذابه
احمل لي عمق الاماقي تراه
اقسم اني لا امسح هذا الحزن
اكرهه اكره كل الماء الاسن
لكن يا سوستني لو كنت اتيت الى قريتنا
لو كنت رايت جنازة ازوريس
كل القرية كانت تبكي تمسا اخضر
كان ربيع القرية يرحل
بالجلود اشجار العارية هناك كانت تتوسل
ازوريس الاخضر كان يضيغ في الانحاء
الفجر هناك لم يعرف لحننا
الايتام وما اكثرهم ذابوا حزنا
ما اكثرهم بعدك يا ازوريس
ما اكثر اشجار السنت السوداء
البنوع الفجري اللون توصل يطلب ماء
ويضعه نهر يبتو اكثر حزنا
كانت ايزيس الحائرة التكلي
تندب قالت لا تم تعبر شمس افقا منذ تولى
منذ رحلت بعيدا يا ازوريس الاخضر
يا روح القمح بسفع القرية يا بنوع الماء
ما زالت ايزيس التكلي تحمل همك
تنشر في شفة كل قنطرة رسمك
ما زالت ارضي حبل
جوعي تحمل بك
لكني لن اترك اشجار الصبار بارضي

الاخوة كارامازوف لدوستوفسكي

بمقام دافيد مافارشاك

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

بدا دوستوفسكي كتابة « الاخوة كارامازوف » اعظم قصصه وآخوها في حزيران ١٨٧٨ وانهاها في تشرين الاول ١٨٨٠ اي قبل وفاته بثلاثة اشهر تقريبا .

كتب المؤلف الى الناقد ايفان اكساكوف في ٢١ ايلول ١٨٨٠ قائلا : « لا يمكن ان تصور كم انا مشغول الآن . انا اعمل جاهدا ليلا ونهارا . نعم اكساد انتهي من آل كارامازوف وانتي اعيد في ذهني العمل الذي اقدمه تقديرا عاليا ، لان فيه الكثير من نفسي . وازعمني . وانا اذن الان ما دار في ذهني مدة ثلاث سنين وما انا كاتبه . ان هذا يجب ان يكون ، اي اسه يجب ان يكون على احسن ما في قدرتي من طاقة ... حان الوقت ليكمل ويكمل من غير اي تأخير ... مرة على ثلاث سنين وانا اكتب ، وعلى الرغم من ذلك فاني اعيد كتابة بعض الفصول مرات عديدة . اكتب ثم ارفض ما اكتب ... ان الفقرات الموحى بها وعددها تأتي الوجود (جاهزة) اما البقية فتحتاج الى شغل مرهق ليس بالقليل ... »

والواقع كان دوستوفسكي يردد موضوع قصته الاخيرة في ذهنه مدة اطول من ثلاث سنين . ان كل لمزائه الاربعة قصص تتناول القتل ولكن كلا منها تعالج مظهرا مختلفا من مظاهر الجريمة . تدور « الجريمة والمقابيل » حول فكرة مؤدها : هل يمكن تبرير قتل عجوز شريرة شيطانية ومراوية خرقاء من اجل امانة لتلميذ فقير لكي يدرك مستقبلا لاما ؟

تعالج قصة « الابله » القتل على انه نتيجة لصاطفة حيوانية على طرفي تقيض من المثل المسيحي الاعلى ، مثل الفغان ، بينما سبب القتل في « الشياطين » سبب سياسي ، اما في « الاخوة كارامازوف » فجريمة القتل جريمة شنيعة ، وهي قتل الوالدين (او احدهما) ، ويبدو ان الموضوع مارس تأثيرا اخذا على دوستوفسكي منذ الطفولة . كتب الى مراسل من « ستاراياف روسا » في ١٨ آب ١٨٨٠ ، وستاراياف هذه هي صيف دوستوفسكي كتب قائلا : « كنت صبييا في العاشرة حين رايت مسرحية شلر « اللصوص » . وليس لي الا ان اؤكد لك ، انه من

ذلك الحين تأثرت اعظم التأثير بما رايت ، وهذا الانطباع القوي لا يزال يثر ثماره في تطوري الروحي » ... تقول اتنا زوج دوستوفسكي في مذكراتها : ان زوجها بينما كان مشغولا بكتابة الاخوة كارامازوف اعاد قراءة « اللصوص » وذات مرة قرأها بصوت عال لمائلته . ومن المعلوم ان مسرحية شلر تعالج موضوع قتل الوالدين ، والمنافسة بين اخوين .

يدخل دوستوفسكي هذا الموضوع في القصة من بدايتها ، بالاشارة المباشرة الى مسرحية شلر . يحدث فيودور كارامازوف الاب زوسيميا مشيرا الى ابنه ايفان فيقول : « ابني هذا هو كارل مور الجدير بالاحترام الكثير ، بينما ابني ديمتري الذي تراه داخلنا هو الذي اشتبهت بك طالبا عدالتك ، انه فزانمور غير الاثني باي احترام . وكلا الشخصيتين من شخص شلر في مسرحية اللصوص » ... لقد اخطأ الرجل العجوز : فايغان وليس ديمتري ، شأنه شأن فزانمور ، هو الذي تأمر على والده واحب خطية اخيه الاكبر .

ومع ذلك ، يبدو ان صلة قوية تربط بين مصدر الاخوة كارامازوف وماضي دوستوفسكي . ذلك انه انما يحسه في سببها التي برحها كان يقضي شربين سنة من السجن بسبب قتل ابيه والديه ، وهو الذي امده بالفكرة الرئيسية لمقدمة قصته الاخيرة وهو يحددنا من هذا العالم في « بيت الموني » العمل الادبي العظيم الاول الذي كتبه بعد عودته من سببيرا . كان السجين اثنان كديمتري كارامازوف ملازما متقاعد ، اسمه اليسكي ، وفي المسودات الاولى من الاخوة كارامازوف يقرن اسم اليسكي مع كارامازوف . اما في الفصل الاول من بيت الموني الذي ظهر في مجلة الزمان سنة ١٨٦١ ، وهي المجلة التي كان ينشرها مع اخيه الاكبر ميخائيل ، في هذا الفصل يعطي دوستوفسكي هذا التقرير عن الغثايف بالينسكي : « ثمة قاتل لايه لا استطيع ان اتساءل ابدا . كان من أسرة نبيلة المنة ، عده ابروه ذو الستين سنة ابنا ضالا عاش حياة صاخبة وتردى في ديون ثقيلة . حاول والده ، ما وسعته قدرته ، ضبطه واقناعه بتغيير مسلك حياته . غير ان اباه كان يملك ضيعة وكان مشهورا بانه كان يملك مالا ، وعلى ذلك قتله ابنه ليث هذا المال . لم تكتشف الجريمة الا بعد شهر . وقد اخبر القاتل الشرطة بان اباه قد اخفني ولا يعرف له اثر . قضى الابن ذلك الشهر بانطع ما يكون من التحلل والفساد . وفي النهاية اكتشفت الشرطة الجثة . اكتشفنا في مجرى للمياه القفلة يمتد تحت ساحة البيت . كانت تقطع الجسم البنية منتظمة محنت سيرا ، وكان الرأس الاشهب مقطوعا وموضعا بجانب حقيبته وقد وضع القاتل وسادة تحت الرأس . لم يعترف الجاني ولكنه انزل من مرتبته وحكم عليه بالاشغال الشاقة لمدة

أقرا مكتبة كاملة من إكتب ديجها ملاحدة وكانليك وارنوكس . ولن ينتهي هذا الكتاب الا بعد سنتين ، حتى اذا تقدم الناشرون بعروضهم الي . اما الشخصية الرئيسية فهو روسي من مرتبنا الاجتماعية ، رجل مسن لم يتفق ثقافة جد جيدة بل هو بلى قسط يسير منها ، انسان ذو قيمة ، اذا به فجأة ايمانه بالله . وهو في أوئل العمر . كان طيلة عمره مهتما بوظيفته في الخدمة المدنية ، لم يفادر مكانه قط ، ولم يقم بأي عمل يشار اليه حتى الخامسة والاربعين من عمره (أنه توضيح نصاتي) رجل جدي ، انه روسي ، كان لفقدانه الايمان بالله اعظم الازم فيه . خلفية القصة ومجبرى فعلها على نطاق واسع . هذا الرجل يختلط بالجيل الناشئ : من ملاحدة وسلافيين متعصبين واووبيين وفرق دينية متطرفة ورجان وقس ، لم يورث نفسه بالاضافة الى هؤلاء في الاتصال بداعية بولندي يسوعي ، وينتهي به الامر الى هاوية طائفة الضارين انفسهم بالسياط - وفي النهاية يستعيد ايمانه بالمسيح وروسيا والاله الروسي والمسيح الروسي ، ارجوك لا تحدث احدا بهذا : اما الامر فيما يعني ، فانا لا بد ان اكتب هذه القصة الاخيرة ولو قتلتي ، انني سألحت من دخلي مهما كلف الثمن . »

ولكنه بعد خمسة عشر شهرا غير العنوان ومحتويات قصته **المتوحدة** بعض التغيير . اعلان دوستوفسكي في رسالة من دردن الى مايكوف بتاريخ ٦ نيسان ١٨٧٠ قائلا متنبئا : « ستكون قصتي هذه الاخيرة وستسكون كبيرة كبيرة كذ « الحرب والسلام » . انا متأكد مسن استحسانات لفكرتها ، وهذا على الاقل ما استخلصه من احاديثي معك . هذه الرواية ستحتوي على خمس قصص طويلة ، انضجت الفكرة في رأسي في غضون السنتين المنصرمتين ، ان القصص ستكون مستقلة عن بعضها . ويمكن بيعها على افراد . تجري حوادث القصة الاولى في الاربعينيات ، اما العنوان العام للرواية فهو « حياة خاطيء عظيم » وفي الوقت نفسه ستعمل كل قصة عنوانا خاصا ، ان المسألة التي ستبحث في الاجزاء كلها مسألة اثارت اهتمامي يومي او بشئ وهي طسوال حياتي ، وهي وجود الله . بطلي - في اثناء حياته - ملحد مرة ومؤمن مرة ومتعصب احيانا ومنشق في الدين احيانا اخرى ثم يعود ملحدا في الختام . اما حوادث القصة الثانية فتجري في دير . انني اضع كل آمالي في هذه القصة . ربما سيؤول الناس : ليس كل ما كتبه سخافة . انا اقول هذا لك فقط : اريد ان اجعل تبحون زادونكمي الشخصية الرئيسية في القصة . طبعيا باسم آخر . ولكنه سيكون مطراعا يعيش متقلبا في دير . ان بطل قصتي القابلة مربي متحلل الاخلاق في الثالثة عشرة من عمره ، ومع صغر سنه يقترب احبلى الجرائم ،

عشرين سنة في سيبيريا . كنت اجدد مرحا كلما تحدثت اليه . كان مشوش العقل ، لا تفكير له ، انسانا بعيدا من التعقل كل البعد ، دون ان يكون مجنوناً . انني لم احظ قط اي عرق من عروق القسوة فيه . كرهه السجناء لا لجريمته ، الجريمة التي لم يشيروا اليها قط ، بل لروحته وعدم استطاعته من تدبير اموره بصورة منتظمة . تكلم معي احيانا عن والده . وذات مرة تحدث الي من البنية السليمة ، وكيف انها من ميراث اعضاء اسرته واضاف قائلا : « ان ابي ، كما تعرف ، لم يشك من صحته الى يوم وفاته . » طبعي ان هذا التحجر الوحشي شيء شاذ ، انه ظاهرة وثلمة في الكيان الانساني ، وهو تشويه جسمي واخلاقي لا يزال مجهولا لدى العلم ، وهو ليس محض جريمة . والواقع انني لم اعتقد بهذه الجريمة . غير ان اهالي بلاده الذين لا بد ان يعرفوا كل التفاصيل عنه اخبروني عن كل شيء حول المسألة . كانت الوقائع من الواضح بحيث لا يمكن الا الاقتناع بها . » يختم دوستوفسكي تقريره قائلا : استرق السجناء السمع اليه ذات ليلة وهو يصرخ في نومه : امسكوه ! امسكوه ! انظمو رأسه ، رأسه .

وفي عدد ثال من الزمان نشر دوستوفسكي النصحيح التالي في ملاحظته قبل الفصل السابع من بيت الموتي : « في الفصل الاول من بيت الموتي قلت كلمات قلائل من انسان قائل لايه ... وقبل عدة ايام تسلم بحري الزمان اخبارا من سيبيريا مؤداه ان الجنائي كان قتل حق في كل ما قاله ، وأنه قضى عشر سنين من السجن تجاه لا شيء فعله ، وقد اعلمت براءته رسميا . هترو على المجرمين الحقيقيين فاعترفوا . بجرمهم واطلق الانسان النعس من السجن . ان المحرر ليس له من الاسباب ما يحمله على الشك بهذه الاخبار .. ليس لنا من مزيد اقول ما نضيفه . ولينا بحاجة للاسهاب في ذكر اهمية التراجيدية لهذا الواقع ، ولا من مصر الشك الذي تحلمت حياته من هذا الانتهام الرابع . ان الحقيقة لا تحتاج الى تعليق : انها تتكلم بنفسها . » واذن كان اليونسكي خطأ من اخذاه العدالة وهذا هو الموضوع الرئيس في قصة دوستوفسكي الاخيرة .

ومع ذلك لموضوع قتل الابوين خطر على ببال دوستوفسكي بعد مدة طويلة من تخيله لفكرة كتابة قصة هائلة ، هي الاخوة كارامازوف التي تتناول موضوعا عظيما آخر هو الالحاد ووجود الله . ناقش دوستوفسكي هذه الفكرة لأول وهلة في رسالة ارسلها الى الناشر ايولون مايكوف من فلورنسا في ٢٣ كانون الثاني ١٨٦٨ ، اي قبل عشر سنين من بدايته لكتابة الاخوة كارامازوف كتب دوستوفسكي قائلا : « في ذهني الان قصة هائلة تحت عنوان الالحاد (بالله عليك) ليق هذا سرا بيننا) وقبل ان اجلس على الكراسي استعدادا للكتابة على ان

فيضعه والده في دير لتثقيفه . مع انه اين ذنب علمي (نهلستي) (١) ، فهو بصادق تيقون . انت تعرف اخلاق تيقون وشخصيته ، اليس كذلك ؟ .. انا خلق شيئا بل انما سامعش تيقون الحقيقي على الناس الرجل الذي احبته من مدة طويلة .. ستعالج القصة الاولى طفولة بطلي ... حاول دوستوفسكي ان يدخل شخصية تيقون على قصة الشياطين ، وفي حزيران ١٨٧٩ زار المطران في دير اوبتينا مصحبه الفيلسوف الشاعر الشاب فلاديمير سولوفيف . يقضيا اسبوعا في الدير وقد ضمن المؤلف اتطباعاته عن زيارته في اوصافه للدير في الاخوة كارامازوف . وكذلك الاب زوسيماف فهو يشبه تيقون . وبنماير تكاد تكون متشابهة كتب دوستوفسكي الى الناقد ستراخوف مختصتا رسالته بالتوكيد على ما عزم عليه قائلا : « هذه الفكرة ستكون نهاية الطغاف في حياتي ، انني لا اوقع ان اعيش واكتب اكثر من ست او سبع سنين » .

وفي الوقت نفسه فان الحوادث السياسية في روسيا حيث عاد اليها ٢٠ تموز ١٨٧١ ، وخاصة الحركة الارهابية النامية حملته على تأخير كتابة روايته الهائلة والاستعاضة عنها (بالشياطين) . كما انه استأنف عمله الصحفي بتحرير مجلة المواطن وعلى صفحاتها نشر افكاره الرجمية المنطوية تحت عنوان « مذكرات كاتب » ثم جمعها بعد ذلك ونشرها على افراد ... قال صديق حميم يتجديلا عنه : « لم يستعد رصانته في غضون هذه السنين ، بل في الرسالة اللامزة طبعه لم يعمل دائما . ان التوراة الداخلي لم يكد يتحركه . وكان في حالة من العصبية والحساسية الدائميتين وخصوصا في اواخر سني حياته . » لقد اصبح - في الوقت الذي بدا فيه كتابه الاخوة كارامازوف - نحيفا يهدد بسط جهد . وقد عانى من تمدد الرئتين ، وياتفجار احدي الاعوية الدموية الرئوية ونوبة الصرع التي خاضعت ذلك الانفجار (قضى دوستوفسكي ، نجه في ٩ شباط ١٨٨١) .

خطط دوستوفسكي المودة الاولى الاخوة كارامازوف في خريف ١٨٧٤ اي حوالي اربع سنين قبل البداية في كتابة الرواية وهذه المودة تقضي اثر قصة النيسكي وتحتوي على معظم عناصر قصة ميتيا ...

(تحتوي الرواية على موضوعات كثيرة ومتنوعة ومن هذه الموضوعات الطفولة وسوء معاملتها وما تقاسمه من غروب الضياع والهوان ، وما تعانيه من نكبات وويلات في مجتمع متفسخ كالمجتمع الذي عاش فيه المؤلف ، ومنها دور الراققة واهميتها البالغة في اكيان الاجتماعي وما هي عليه من ترد ووضع مزور مؤسف) (٢)

اراد دوستوفسكي بادىء يبدء معالجة الموضوعات الرئيسية في الاخوة كارامازوف كتفسيخ العائلة الروسية والدولة الروسية في قصة منفصلة بعنوان « فوضي » وقد

جلد في الملاحظة المؤرخة في ٢٦ آب ١٨٧٥ ما يلي : « عنوان القصة (فوضي) وكل فكرتها هو بيان الفوضى الشاملة الضاربة انذابا على المجتمع في شؤونه ونفسى افكاره السائدة ، التي لا وجود لها ذلك السبب ، ونفسى معتقداته غير الوجودية ، وفي تفسخ الحياة العائلية . واذا ما وجدت معتقدات علمية فهي معتقدات هدامة (اي اشتراكية) . لقد ذهبت الافكار الاخلاقية ولم يبق منها فكرة واحدة ... »

من الاراء ما يذهب الى ان دوستوفسكي لم يكمل روايته وهذا الرأي يستند الى مقدمة المؤلف المرتبكة الى القارئ ، غير ان هذا الرأي لا يستند الى سند واقعي ابدا . فاكمل الرواية هو ما ائترف به دوستوفسكي نفسه في رسالته الى ايفان آساكوف كما اقتبسناها في بداية هذه المقدمة وفي رسالة اخرى الى احد اصدقائه المقربين ارسلها من ستارايا روسا - ٧ ايلول ١٨٨٠ - كتب فيها : « بالرغم من المناخ اللطيف انني اخذ مكانسي على الكرسي ليل نهار . انني اكاد انتهي من آل كارامازوف ساهي الرواية بئتهاء ايلول وبعدها ساعدو اليطرسبورغ هذا من جهة ومن جهة اخرى ربما ادرك اكثر من غيره ان الرواية في شكلها الختامي كانت بعيدة عن الكمال . يقول دوستوفسكي بهذا الصدد في رسالة وجهها الى احد المراسلين - نيسان ١٨٨٠ - « انا اعرف تغيير من الكتاب ان عندي الكثير من الاغلاط ، والدليل على ذلك انني غير راض عن نفسي . وفي اللحظة التي اجرب فيها النظر الى خلقي في الحياة - ادرك والام يحزني بانني خبت تماما في التعبير عن واحد من عشرين مما اردت التعبير عنه ، وللمني كنت مستطعيا ذلك . والشئ الذي يريدني هو املي الدائبي بان الله سيمتحنني وحيا بهذا القدر من الزيادة يوما ما . حتى اتمكن من التعبير عن نفسي بوفرة - وبالايجاز - حتى اشكر من كل ما هو مغلف في قلبي وفي خيالي ... لا يسعني الا ان اشعر بان ما في دخيلة نفسي اوفر مما استطعت التعبير عنه ككتاب ومع ذلك اقول بغير تواضع مزيف : ان الكثير مما هو حق انبعث من قلبي وهو ما استطعت التعبير عنه . »

واذن فالاخوة كارامازوف قبل كل شيء صورة لروسيا كما رآها دوستوفسكي في السنوات العاصفة ، بداية سنوات السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي . كتب دوستوفسكي الى كانتوف محرر مجلة موسكو هيرالد حيث كان ينشر الرواية متسلسلة ، كتب قائلا : اجمع بين الشخصوس الاربعة (في الرواية) فستحصل على صورة مصغرة الف مرة عن روسيتنا المثقفة المعاصرة ،

(١) المعطوبون هم طائفة من القنوزيين الروس اشتبهوا في اواخر

القرن التاسع عشر ، وهم لا يقرنون بظلم او عقيدة او دين ، المترجم

(٢) من كلام المترجم

(٣) هذه القصة منقصة في رواية (الاخوة كارامازوف) ، المترجم

الحوادث المختلفة في قصته . ففي إحدى رسائله إلى ويبيدو نوتيفيك يؤكد الواقع في أهم كتب روايته (الاتحاد وتقيد الاتحاد) (٢) ويقول : « انني لسم اخن مبادئ الواقعية حتى في موضوع تجريدي مثل هذا . » وما قاله كاتكوف انه استشار اثنين من الادماء العام في بفرسبورغ قبل كتابة محاكمة متيا وانه درس حالة ايفان الصلبة مع المختصين بالطلب كما فعل بتفاصيل جنارة الاب زوسينا اذ عرضها على أعضاء المجمع المقدس ... وما قاله كاتكوف في هذا الصدد : « ان كل ما يسرده بطل ايفان - في النص الذي ارسله اليك - مبني على الحقائق الواقعية وكل الحوادث التي تتعلق بالاطفال وقعت فعلا وقد نشرت في الصحف . لم اخلق شيئا والدليل على ذلك : الجنرال الذي اصطاد طفلا بمعاونة ابي الصيدا ، الجادة مشنورة في الملفات الحكومية ، وقد كاذب نشرها في العديد من الصحف . »

اهتم دوستوفسكي اهتماما خاصا بالاطفال وبمشكلة الطفولة ، ومن طريق حل هذه المشكلة اراد وشجع حد للنزاع السياسي في روسيا وهو النزاع الذي ينز في المقدمة نزا مؤلا . وما قاله في هذا الشأن في رسالة ٢٨ - ٢٨ مارس ١٨٧٨ - الى احد مراسليه : « لقد أسرني ذلك انك تحب الاطفال ، وانك تقضي الكثير من وقتك بينهم ، وحتى الان انت غالباً معهم . وعلى هذا اسالك ان تبسطني الى معروفيا عظيما ، انني سابدأ في القريب بكتابة رواية جديدة سيسهم فيها اطفال وخاصة من تتراوح اعمارهم بين السابعة والخامسة عشرة . سيكون هناك العديد من الاطفال وانا الان ادرسهم وقد درستهم طيلة حياتي ، انني امضهم اشد المودة ، ولي منهم عدد لا بأس به . ومع ذلك ، فملاحظات انسان مثلك ملاحظات قيمة جدا بالنسبة لي . ولذا ارجوك اكتب لي عن كل شيء تعرفه عن الاطفال ، حوادث ، عادات ، اجوبة ، كلمات ، امثلة ، صفات خلقية ، الموقف تجاه عوالمهم ، ايمانهم ، اعمالهم الشريرة وبرائهم ، الطبيعة والعلم ، اللغة اللاتينية الخ . ولاختصار كل شيء تعرفه . انك ستساعدني كثيرا وساكون شاكرا لك هذه المساعدة . » ولم يكف دوستوفسكي بذلك بل اعتمد على اعمال بستانويزي وفرويل وقرأ مقالات ليو تولستوي عن المدارس ، حين تناول الاطفال في فصوله .

وبهذه الوسائل سعى دوستوفسكي لتعميق وتوسيع الميزات الواقعية لروايته . الواقعية كما يستنتج من استخدام متيا لهذا التعبير ، كانت من اشهر الشعراوات الادبية الشعبية قس ذلك العهد ! ومع ذلك ، فان دوستوفسكي ابتعد من اشكال الواقعية الخشنة عند ابداعه للشخص ... وكان هدفة بصفته كاتباً خلاقاً هو ما اعلنه في مذكراته : « انني ابحث عن الإنسان في الإنسان . ولذا ادعي علما نفسيا وهذا غير صحيح . انا

وهذا هو السبب الذي يجعلني اعزو اهمية لعمل . » وفي رسائل اخرى يصف ثورة ايفان كارامازوف على انهسا حصيلة القضية الروسية الحديثة . او بكلمة اخرى انحرثة الثورة الروسية في عهده . وبهذا الشأن يكتب الى كاتكوف ايضا : « يعلن الرفض الحديث انه بصراحة يؤيد نصيحة ابلتسي في سعادة الارض ، لان مثل هذه السعادة هي افضل من تعاليم المسيح . انها محرض قوي لاشتراكتينا الروسية الحماة ، حماة لان شابنا يخطو فيها خبط عشواء : ارفع خبز ، برج بابل وهذا هو مستقبل حكم الاشتراكية ، والاستعداد التام لحريسة الضمير . والاخير هو الهدف الذي يسعى اليه الرفض المستميت . والخلاف هو المستميت . والخلاف هو ان اشتراكتينا الذين ليسوا اصحاب الخبايا من العدميين فقط ، هم يسوعيون واعون وكذابون لا يعترفون بانهم على الاطلاق هم . والاضط على الضمير الانساني وحمل الانسانية على الهبوط الى مستوى قطعان الماشية . بينما بطلي الاشتراكي ايفان كارامازوف هو رجل مخلص يعترف بصراحة انه موافق على افكار رئيس محكمة التفتيش ويبيدو ان المسيحية رقت الانسان الى اعلى من قلمه الاثني به . والسؤال الذي اريد ان اوجهه اليهم (يعني الاشتراكيين) انتم منقلبو الانسانية في المستقبل - هل تكرهونها ام تحبونها حقاً ؟ »

وفي رسالة اخرى يعلن دوستوفسكي بوضوح ان الفرض الرئيس من كتابه الاخوة كارامازوف هو انهزال الغزبية في (القضية) الواجب الذي يهدد . واجبة المدي ؟

ان تدخل دوستوفسكي في الحياة الاجتماعية والسياسة بلده يصبح اكثر جلاء في الفصول الاخيرة من قصته وفيها يهاجم المحاكم الحديثة واجراء المرافعات بالاستعانة بالمحلفين . وقد شارك دوستوفسكي بذلك اراد ويبيدو نوتيفيك رئيس المجمع المقدس الذي استشاره كما هو معلوم في بعض وجوه روايته . وما قاله من المحلفين « ان حاوت المحامين سيرا ساحة اشد الجرائم ربما وانظع القتل العلومين ، واشنع الجنابات . » وقد كان حاضرا في المحاكمة الشهيرة لفيرازسوليج - ١٨٧٨ - وفيها هذه امرأة ادهابية كانت في سنتها الحاشية والشرين ، وبنتيجة هذه المحاكمة اطلق سراحها . مجلس المحلفين ابرا ساحتها من تهمة محاولة اغتيال حاكم بفرسبورغ العام . كانت تبرة هذه المرأة مناسبة للهجوم على مرافعة (المحلفين) من قبل الصحافة الرجعية . وقد شارك دوستوفسكي في هذه الحملة . وقد ذهب به الامر في هذا الحقل الى ان يضمن حوادث محاكمة فيرازسوليج في محاكمة ميتيا كارامازوف ...

من مميزات دوستوفسكي في اساليب عمله بصفته روايا تحمل المتاعب الكثيرة التي يكابدها للتحقق من صحة

لو عدت

حلم استنور، وفريد الحساين
كضارة الورد من اعماق تشسين
حيناً، وتبكي رؤى الماضي الى حين
قاعصر الروح، مذ جفت تلاوئي
والامس ما ظل في كاسي يعاطيني
مات الشباب به في عنف كاتوني
سحر الاماسي، ما زالت تواسيني

عرج، هداري كما كانت، يضاحكها
يشربها الزئبق النشوان، يمنحها
تفاضل السحب رباها، فتيهجهها
وكم يهيج بهسا الزوار من الم ؟
احيا على راعش الماضي وتشوته
منز الزمان، وعبر الشيب في الق
وذكريات عطاشي لو يزنيها

هلا عصرت وان كانت ستغيني ؟
تعب من نخب لقيانا ، وتلقيني
ينادم الوهم في اعصار تكويني

قد مرحت كرامة في القلب مغنية
او عدت لي ليلة اجني النجوم لها
بعد الصباح جناحاً طائشاً وهوى

عبد الكريم الناعم

حمص

إن التلاحم التام بين الفكر والأخلاق الفضلى هو الذي يحمل ديموسيمسكي بفوز فوزاً عظيماً لا يصفه فنانا خلافاً حسب بل بصفته مفكراً عميقاً جربنا أيضاً . والواقع أن الناقد الفاضل في دوستوفسكي الكاتب هو أنه يكون أقوى ما يمكن حين يدافع عن آراءه واتكاه مخالفه ، بخلافه عند الكلام على أفكاره ومعتقداته ... وفي هذا الاقتدار إلى الانجم بين دوستوفسكي الكاتب المبدع ودوستوفسكي الإنسان تكمن حياته العظيمة وإلى هذا السبب تعزى طبيعته للتهمجية الشكوكية ، هذه الطبيعة التي كانت امتحاناً لأقرب اصداقائه . وبعد خطابه الناجح بمناسبة ازاحة الستار عن نصب بوشكين في موسكو في حزيران ١٨٨٠ قال بحزن وتأثر : « أنهم لا يفهمون الشيء الذي يهمني . فهم يعرفون قدرتي فلنا منهم انسي لا أرضى بالنظام الحاضر في بلدنا ، ولكنهم لا يرون أنني ادلهم على طريق الكنيسة . »

وفي الأخوة كارامازوف أيضاً وجد دوستوفسكي حلاً للمشاكل الروسية في الكنيسة الأرثوذكسية ، إلا أن هذا ليس بسبب لن يعترف بالرواية هذه على أنها أعظم إنتاج لمفكرته . أن عظمتها تكمن في نسى الدراما الإنسانية الشاملة وليس في محاولة دوستوفسكي الخائبة في أن يحول روسيا إلى دير هائل .

يوسف عبد المسيح ثروة

بغداد

كاتب واقعي في اسمي معاني الكلمة ، أي إلى اصلا الإيماني الروح الإنسانية . كانت طبيعة دوستوفسكي منهجية على نفسها بصورة غريبة . كتاباته الصحفية وخاصة « مذكريات كاتب » التي عبر بها عن آرائه واتكاهه تمتاز بالفظاظة والخشونة وتفتقر إلى البصيرة وهي لا تستحق أن تقاس بكتابات أي مؤلف عظيم . أما في مؤلفاته المبدعة ولا سيما في الأخوة كارامازوف فهو يسير أصمق الأغوار في التفكير بحيث يسبق أيا من كتاب عصره أو غير عصره . لقد كان بحاجة إلى الإلهام ليطغى غيظه فسرر أمدائه السياسيين ، وتحيزه العرقي ، وبخاصة امتعاضه من منافسيه الأدبيين الذين حظوا بنجاح أوفر منه . وفي « أسطورة حاكم التنغيش » التي يعدها دوستوفسكي ذروة فاعاليته الأدبية ، يقوم بهجوم غير مباشر على الاشتراكية بأن يجعل أيفان يتقبل ما اعتبره غاية سيلمسة الكنيسة الكاثوليكية ، يطلق دوستوفسكي نفسه قائلاً : « عانيت بالحجارة وأرغفة الخبز مشاكلنا الاجتماعية الرهنة . أن اشتراكية اليوم - في أوروبا وفي بلدنا على حد سواء تطرد المسيح جانبا وتعني بالخبز قبل كل شيء . وهي تلجأ إلى العلم ، وتعتقد أن الفقر هو سبب الشقاء البشري بأسره ... » وبعد مهما تكن فكرة دوستوفسكي عن كفالة الأمم من طريق التالام فهي تبرر حين يضمها في قم ديمتري كارامازوف .

الأرض ، فقد كان مائزارو ، يعمل في حرق الأرض من الصباح حتى المساء ، ويقلم الأشجار ويحش الطفيليات لأهباب الشمس ولا الماء ولا الريح ، حافي القدمين ، لا يملك حتى قطعة من منطف .

لم يكن يملك إلا تلك (الشلالات) التي كانت تأتيه من الخلف ، من هؤلاء الذين أموا بجلونه ويحترقونه ويتكلمون معه ، رافعين قنصواتهم في أيديهم . وليس بهذا وحده صار أعلاه مقاما ... ولكن لأنهم - سادة البلد - جميعا صاروا مدينين له ، وهذا هو سر تعلقهم له ، ولكنه مع ذلك يقول أن تعظيمهم له يعني (أي) اصعاق نفوسهم - أيها الشيطان البائس أو أيها الدائن الشرير .

أنه مع ذلك الفنى كان لا يزال يحمل (بيريه) من الحرير الأسود ، بل لقد بيريه في النهاية بأخضر من الجوخ ، لأنه وجدته أرخص من (البيريه الحريري) .

وعلى هذه الأرض التي تتراعى على مدى بصره - وبصره بالغ الطول - ففي كل مكان يمينه وشماله أمامه وخلفه ، يأكل خمسة آلاف قم - ومامه عماله - باستثناء طيور السمك وهوام الأرض ، وباستثناء فمه الذي يأكل أقل من هؤلاء جميعا لأنه يكتفي بخبز لا يتجاوز ثمنه (صلدين) وقطعة من جبن يتعلمها فني سرعة وشراسة يجانب المخزن الكبير ونصفه مغبر بالدقيق الذي لم ينشبه إليه عندما كان الفلاحون يفرغونه في الزكائب أو يكدسونه في الجوالات والريش تنكس الريف الرطب ساعة البدار أو براسه الفارقة في (صندوق زبالة) - إلقاء الحر - أيام الحصاد القاسية الحرارة

أنه لا يشرب النبيذ ، ولا يدخن ولا يستعمل التوباكو ... ذلك التوباكو الذي تزرعه بساتينه على طول النهر ، ذو الأوراق الكبيرة الطويلة كالأطفال ... أنه ليس ذلك الذي يحمل رذيلة القلم ولا رذائل

الطويلة التي خطتها محاربت مائزارو استمداذا لزراعة الصيف ، والثيران تخوضن القناة الصغيرة الفحلة ، وقد غاصت أرسابها في الماء ... تشهد من بعيد مزارع كاتسيرا على جانب التل العاري حيث استقرت البقع الهائلة من أسراب حيوانات مائزارو ، وتسمع صفارة الراعي تتحشر في زوره ... وكأنها التشيد الوحيد الذائب في الوادي العظيم .

كل هذه الثروة لمائزارو ، حتى بدا ذلك الحودي العابر يشك في أن الشمس التي تشرق قد صارت في قبضته ، حتى تلك الحشرات التي تدندن والطيور التي تهفف بظلمان

الأرض

لروائي الايطالي جيوفاني فيرجا

ترجمة السيد فرج

خفيف خلف الشقوق المده للبرد ، وربما كذلك تلك الصفارة التي أطلقها المصفور من القاية . وحتى ليبدو وكان مائزارو بالغ الفضامة وأن جسمه يغطي هذه الأرض ، وأن الناس تمشي على كرشه ... وأن كان على النقيض من ذلك ، فإنه كان قزما لا يملك من الفضامة غير كرشه ولا يعرف ماذا يفعل ليعلاء لأنه لا يأكل غير خبز بصلدين ، وهو لذلك غني كخنزير ، وعندما تراه تعتقد أنه لا يساوي قرشا ولكنه يملك الرأس اللامعة المفكرة . تلك الرأس التي استطاع بها أن يجمع كل هذه

عندما مال الحودي - عابر السبيل - الذي سار بطول طريق الفيغيري دي لينتينيني المنبسطة كقطعة من بحر مقفر ، تملوه نباتات كاتسيرا البرية الجافة ، حيث يرتقال فرانفتن الأخضر ، وشجر فلين ريسكونت الرمادي ورماعي محاري باستايوودي باستايتيلو (1) ... نعم عندما سأل ذلك الحودي العابر - فيبعد عن نفسه ملل الطريق الطويل المترب ، تحت السماء الساكنة ، فسي تلك الساعة التي كانت تدق فيها أجراس العمل الحزينة في الريف التاسع ، وقد تركت بفلاحة رؤوسها وذبولها تهتز وهو يفني أفنيته السوداء كي يتغلب على الام الماريا - لم هذه الأرض ؟!

وسمع من يجيبه : أنها لمائزارو . كان ذلك عند مروره بعزبة كبيرة ، ذات مخازن بدت كالكثاس وأسراب دجاج تجتمعت في ظل البئر ، حيث النساء اللاتي وضعن أيديهن على عيونهن ليرين من هذا العابر .

- هذه الأرض لمائزارو ؟ ! ... رددها متمتعا بينما كانت الماريا تنقل عينيه وتهزه ... وفجأة سمع نباح كلب ... ثم يمر بكريمة شاسعة ويتزايد نباح الكلب على التل ، ثم على الأرض في جمود كتيب دون ما حركة ، وكأنه حمل على كتفيه من التراب ما يشل حركته ، ... بينما انبطح خبير فوق بندقيته بالقرب من الطريق ، يرفع رأسه ويفتح إحدى عينيه ليرى من يكون ذلك السائل .

- هذه الأرض لمائزارو . وانتهى عابر السبيل إلى مزرعة الزريتون الكثيفة كالأفابة ، حيث لا ينبت الحشيش أبدا وحيث يستمر الجني حتى شهر مارس - أنه زريتون مائزارو .

وليس هذا فقط ففي المساء حينما تكون الشمس حمراء كالجمر والريف يلغى العزن ، وقد تقابلت الخطوط

(1) كل هذه الأسماء اللاتينية - أسماء لاتيني في صقلية منسقة رأس الكاتب .



أخرى ، وحتى النساء ما ارتمى على اكتافهن اللهم إلا أمه التي دفنح من أجلها - على مضض اثنتي عشر قرشا عندما حملها مضطرا إلى القبر .

إذا ما الذي جعله يفكر مليا ذات يوم عندما ذهب حائيا ليعمل في الأرض - الأرض التي أصبحت له - ماذا يقصد بالأرض ؟ لقد جرب ماذا يفعل بالثلاثة قروش التي كان يأخذها أجر يومه في شهر يوليو عندما كان يظل منحني الظهر أربع عشرة ساعة ، وخلفه (الخولي) راكبا جواده يلهب ظهره إذا ما رأى منه بادرة للوقوف . ولهذا لم يدع لحظة من حياته كان من شأنها أن تحفره على تكوين المال . والان أصبحت محاربه كثيرة متعددة كإسراب طويلة من طيور نوكبير ، وإسراب أخرى من نساء ينكمشن في الطين يجمعن زيتونه ، الأثلي لا يستطعن هذه كما لا يستطعن عد الطيور التي جاءت لثئال منه . هؤلاء النساء الأثليات يخرججن من قراهن إلى كرومه - مطلقا الفناء - لجنيه

ان الحصادين ليلدون كجيش من الجنود . وان هذه الجموع تريد حفلات النقود والمكرونة التي كانت توضع لهم في قصعات كبيرة (كالطنشوت) ولذلك عندما كان يسير مطيئا جواده خلف جموع حصاده وفي يده سوطه ، كان لا يفتحي من مينيته واحد منهم مهددا اتحوا (يا اولاد) .

لقد ظل طوال السنة ويده في جيبه لينفق ، ولكن فقط أجر العمال والضرية ... ومن أجل الضيعة وإيفضا من أجل الملك الذي كان يبلبه كثيرا - الأمر الذي كان يصيبه بالحصى في كل مرة .

كانت مخازنه الكبيرة كالكتائس تفيض بالذبيق كل ستة ، وكان في كل مرة يبيع فيها بئبده ، كان يحتاج ليوم كامل كي يعد فيها تقوده (ثمن البئبده) ، وكان يبيع كل زجاجة

بائتي عشر قرشا فضة ، نعم فضة لأنه لم يكن يريد تقودا ورقية يضيها لتروته ... كان يحمل تلك النقود الورقية فقط عندما كان يدفع للملك او لآخرين .

وكان حيواناته تغطي الأسواق ، وتضج بالتسوارع . انه بلا شك يحتاج لنصف يوم كي يجعل منها سعوا ، لذلك كان يصطر القاصصون باحتمالات القديس حامي البلد إلى تغيير طريقهم واتخلى عن طريق مرور حيوانات مازارو .

كل هذه الأرض التي كونها بيديه وبرأسه ، ويحرمه من نوم الليل ، ويحمي القلق والمأدبا والضي والتعب من العجر حتى المساء ، وبالذهب هنا وهناك (للتشطيط) تحت الشمس وتحت المطر ، بانهاك حدانه ذي الرقبة وباتما بفلانه . هو وحده الذي لم يكل خيطا دائما في أرضه ... أرضه التي لم يكن يملك من الدنيا غيرها ، فلم يكن له ابن أو غريب أو جاهد ، وانه هكذا مثل بأن يعمل ليكون أيضا ... وحتى الأرض يبدع وانها (لأية عليه) ، انها تبدو كمخيطس بجذبه ، لان الأرض تجتذب الذي يحفظها وليست للذي يشتتها كذلك البلون الذي كان سيدا لمازارو - يوما ما - مازارو الذي كان عاملا بالأسا طريا في حقوله ، والذي أصبح الآن مالكا لكل هذه البساتين ، وكل هذه الحقول ، وكل هذه الغابات ، وكل هذه الكروم والحيوانات .

لقد كان البارون عندما يأتي إلى أرضه مطيئا جواده ، وخلفه أجراؤه - كانه الملك - كانوا يمدون له مكان (القيلولة) والقداء ، له هو ذلك (العبيط) كما كان يسموه مازارو . لقد كان كل واحد منهم يعرف الساعة، بل اللحظة التي يأتي فيها البارون . انه لم يكن ذلك الذي يفاجئهم بيديه في الزكائب كما يفعل مازارو الآن ، لذلك قال عنه مازارو - يوما ما - لا بد ان ذلك الرجل اراد ان يسرق

بالقوة ، بينما كان يتعجر ضاحكا ، ولقد كان عندما يوسعه البارون (بالشلايت) من الخلف كان يملك ظهره بيديه متحمرا ونفسه تقول « ان ذلك العبيط يجب ان يبلع »

في بيته ، لان الأرض ليست لمن يملكها ، ولكن لمن يستطيع ان يكونها » ... انه يعكس البارون تماما فبعضا ملك الأرض ، لم يقل مرة إذا ما كان سيأتي ليشرق على انحصار والجنس أم لا . ولكنه يفاجئهم ماشيا على رجله او راكبا بغلته ، وقطعة الخبز في جيبه، وينام بالقرب من كهونه وقد فتح عينيه وأضعا بندقيته بجانبه ... وعلى كل حال فقد أصبح مازارو شيئا فشيئا صاحب كل أرض البارون ، ذلك الذي خرج من مزودة الزيتون ثم مزودة الصب ثم من المراعي ، ثم مزودة العزبة وأخيرا من قصره نفسه ، بل لم يمض وقت قصير حتى وقع كل عقود البيع ، وبضم مازارو بصمته الزائمة ... ولم يبق مع البارون شيء آخر إلا الدرع الاسري الذي كان مستقرا على البوابة العظيمة ، والذي كان رمزاً لمجد الأسرة) وكان الشيء الوحيد الذي لم يرغب في بيعه قائلا لمازارو : (هذا شيء وكل ثروتي شيء) ، انه لم يصنع لثاملك، وكان هذا حقيقة مازارو لا يعرف ماذا يفعل به ، ثم انه ان يستطيع ان يدفع بابوكين ثمنا له .

وعلى العموم فبالرغم من ان البارون لا يزال يتأديه بأن مجردا من أي قلب فانه لم يعد يستطيع ان يوسعه (تنبليتا) من الخلف كما كان يفعل في الماضي .

— انه لشيء جميل : امتلاك كل هذه الأرض وكل هذا التجم الذي يملكه مازارو ، هكذا كان يقول الناس وهكذا تمنوا لانفسهم ولسم يدروا بأي طريقة استطاع ان يحصل على هذه الأرض ... فكهم من تفكير وكم من تعب وكم من خداع وكم من محابب أجبرته على تلك (الاشغال

الشفقة) ... وكس سهوت راسه
المفكرة تعمل النهار والليل ، احسن
من رحي تديرها البغال ... من اجل
الارض ...

وكان مائزارو اذا ما ظهر مالك
معاند واراد ان (يلخمه) باستئجار
قطعة من ارضه ، جاهد باحثا له عن
خديعة يجعله بها يخسر (الجلد
والسقط) .. كان ذلك يحدث بالرغم
من عدم ثقة الفلاحين فيه .. وعلى
سبيل المثال كان يتنع ذلك المستاجر
بخصوصة قطعة معينة من الارض
وهي في الحقيقة لا تنبت الا الترمس،
وحيث ان الشيطان البائس قد اعتزم
ان يؤجرها وغامر فيها باجر باهظ ،
يخسرها ثم يخسر الاجار ، ثم يخسر
قطعة الارض التي يمتلكها ثم البيت .

وكم من مفايقات يتحملها مائزارو:
فالمستاجرون الذين ياتون ليشكوا
من المحاصيل في المواسم التي لم
تات اكلها ، والمدينون الذين يرسلون
نساءهن في شبه موكب شاكيات ،
شاكيات شعورهن ضاربت صدورهن،
متوسلات اليه كيلا يجعلهن طريداث

في الطرقات يسبب حميرهم ويغالهم
التي لا تجد المالف .

— ارايتن ماذا اكل انا ؟ ثم
يجيب : خبز ويصل ، واذا سألته
خفنة من القول من كل هذه الثروة
قال :

— وهل سرقتها ؟ اولا تعرفن كم
دفعت ثمننا للبلد والمزق والجنني .
واذا سألته ملديا اجابية انه لا يملكه .
واته لا يملكه حقاً ، لانه لا يحمل
في جيبه ابدا نقوداً ، كان يستمرها
من اجل الارض ، ومع انها كانت
تدخل وتخرج من بيته كالنور ، كان
يقول انها ليست ارضا وحقيقة كانت
الارض تهمة اكثر من النقود ، ولذلك
محالاً كان يجمع مبلغا معلوما من
المال كان يشتري به سريعا قطعة
ارض ، لانه اراد ان يمتلك تلك
الارض التي يمتلكها الملك ... واته
حقا اخبر من الملك ، لان الملك لا
يستطيع شراءها ولا يستطيع ان يقول
ماذا تكون ارضه .

بلى ، واعلم بالذي يضافه اليكم
بذات الشجوخة تدب في جسده

والارض يجب ان تودمه هناك حيث
كان ، ان هذا ليس عدلاً . فبعدما
استنفد الحياة في تكوين الارض ،
وعندما وصل الى امتلاك كل هذا ،
يجد نفسه مرغبا على تركها .

ويبقى سامعت جالسا على صدوق
(الزبالة) واضعا ذقنه بين كفيه
ناظرا الى كرومه التي ملأت خضرتها
عينيه ، وحقوله التي تتماوح سنابلها
كالبحر وزيتونه الذي تسلق الجبل
كالضباب .

وثمة طفل يمر في اسماله من
امامه ، فيتقوس تحت ثقله كحمار
متعب تاركا عصاه بين ساقيه بحدق
وتزمر .

— هيه هذا الذي يملك الإسام
الطويلة لا يملك شيئا !!!

وحتى في اللحظة التي قالوا فيها
ان « مائزارو » ترك المادة وبدأ يفكر
في الروح ، خرج من الفناء كالجنون
يترنح ، ويجري في غنى ليعاقب
بعصاه اوزة ودجاجة صارحا : ارضي
نعالي ممي ...

السيد فرج

التاهرة

بائس

نسيم البحر ممثل وهذا الكون وستان
وانداه مططرة تضمخنا وريحان
وبين الطيب والنشر اراق الدمع اسوان
حزين لا يواسيه لقيض الحزن انسان

دنوت دنو . مشفقة اسائه بتحسان
لعل اجني شيئا فاندق فيض وجداني
فقلت له : وما شكواك اني سلوة العاني
اجاب وجفنه الدامي يحاكي طرفه الواتي :

دميني لا تلوميني انا متناع حسان
حكاي الامس تشجيني وما لاسم نسيان
فليت الامس ما كان وما كنا وما كانوا

سلافة الماري

دمشق

مكتبة الاديب



وكذا شأن بيانه والمناظرة ، تراء كانه يعادل بين مسافة اللوحة ومدد الكلمات .
هذا الورع بين عالين ، وقد لتسمت الهموم ، اذ السخرة العالية ، فهي عنده الرب الى كنه الوجود منها الى الورد . ولكم وفق هنا لاختصارات بيانية مبررة .
من يقرأ « عاشق حورية » مع سابق تمسك باصولية المسرحية له يجد مجالاً لاتر من ملاحظة ، لكن في الحوار من محاولة التجديد ، والسعي الى التمييع ، والاشراق في الأداء ما يفرحك عن شكليات لم تعد تپدر

حتية .

كم من كتاب على اصوليته الشكلية متومة ، وكم من محاولة متجذرة بل هجاء ، تنبئ بالهوية وتشرق بك على جدة وابدياع ، وحسبك هذا من الابد .

الحب ، سيطرة موارثه على الكتاب ، لكنها خطرة على ذوي الافلام الكابية ، اما من يعرف ان يتغلب من المألوف ، ويجهده القلم في غير ما مبتذل ، ويخلق في اخفاء برأياته ، فلا بد انه بالغ .
وصاحب « عاشق حورية » اذرك ان مسرحيات المظة شيء عمل ، وان الحب على غناه بحاجة الى خرافة ، وان البيان الرائع لا بد من توافره مهما كان الموضوع ، فاعلى ليلاته وراء بيانه ، وادخل على الحب لطافة التنبه ، حتى لندا وجود الحب نفسه موضوع جدال ، وبدا بقدرة اللاتباقي في عرض حوار ، وامن ان الذي يحب حقاً لا بد مصيب ، فكانت له محاولة موفقة .

بهذا الحوار ، اثبت ادمون موعوي انه في الادب من اولي النسب النصار ، فهو مطروح على الجبان ، يصير بمواقف الاجادة ، ما خالته الرتبة في الهزلي الى الحق .
سيكون هذا العلم صفحة مشرقة بين التي احدث لنا بلغة راسين ،

انطون قازان

علم اللغة : مقدمة للقارئ العربي

تأليف الدكتور محمود السحران الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة الإسكندرية - ١٩٢ صفحة - حجم كبير - منشورات دار المعارف بصرى - فرع الاسكندرية

هذا كتاب جديد يتناول موضوعاً قديماً هو اللغة ، وقد عاشت اللغة مع المجتمع الانساني الاف السنين في اشكال مختلفة وكانت اهم وسائل الاتصال بين الناس شعوباً وفراداً ، وكانت اهم طريقة لتقل معالم الحضارة الانسانية الى مدى صدور التاريخ لتنطبع السوان العرفه بواسطتها في اذهان الناس جميعاً افطالاً ثم تصحبه طول حياتهم ، وقد يترك الواحد منهم اثاراً مكتوبة فتعيش لفته بعده وتقول بها الحياة الى امد بعيدة . ولذا نحن تركنا العديد من اللغة كوسيلة للتعليم والتفتنا الى وسائل الاعلام المتعددة في حياتنا المعاصرة وجدنا ان اللغة هي العنصر الاساسي فيها ، ولذلك فاندول لا ندرج جهداً ولا مالا في سبيل تلبية وسائل الاعلام واستعمال اللغة في المذيع والتلفزيون والصحف والكتب المختلفة ، وما كان لحد في بقعة من بقاع الارض ان يعلم من التقدم الفكري لآخر في مكان مختلف من المعمورة الا عن طريق اللغة فلا جهد يبذل في دراستها دراسة جادة جهد في صناع بل انه جهد لا بد ان يبذل في كل مجتمع يبني الرقي ، ولا بد ان يوفر له العلماء وان توفر لهم اسباب التفرغ .

عاشق حورية

AMOURUX D'UNE FÉE

تمثيلية باللغة الفرنسية - تأليف ادمون موعوي - ١١٦ صفحة - حجم كبير - الطبعة الكاثوليكية بيروت

جديد في هذا الكتاب ، فقد تاملت صاحبه كثيراً قبل وضعه .
نزار ، اديب مكروب ، سبي بلبل مشرقي لضي ، ففدا له شجو على الجزر . لكن دونه موانع ، ارت لم يورع ، واخوة يشرون الى الكسب . يريدونه كائنات ، وهو يختلف . اميته ان يعيش في مله ، وان يلقى عليه يمكن هناك في الشرق الملون .

يتلقا في وديان التفتة صديق جميع ، فيمتد حوار ، فيه كلام على الحب صيق ، منيع من نفس تعيش ، فاللفظ دم ، والصمت استعادة ، ليس فصلا من كتاب ، الحب تعليق اجتماعي ، كذا يقول نزار ، لسوف يظل فجر وسع العافرة . وبينما الحوار في اشد ، تغزل مدي ، وعلى يدبها من الادل هدية ، فيولم نزارا حليف الهوى ويلعب عليها خيال المودبة .

وترغب لدى ان يتسم ، وتلج ان يتفطل طموحه الفتر .
وتكمل ، فينكس على معياها اطار تعلم كاد لبدته معاد القيب ، انه خيال الياينية العلم يعالته نزار في محاولة تجسيد غريبة . وهنا اروح ما في الحوار ، تراء يلاص فلسفة التنبه فيهم حيناً على وهم مصيب ، ويصحو احياناً على بسمة مزجت بسمة ، انه الغرب اصلاً ! انه الممزق على الحياة ، المبحر كما التار على الرمال ، يتشوف من خلال ذاك الشيء الى كوة يظل منها شيء من الشمس على خياله ، « لكن الحب ، كما الجن ، لا يقاس » .

لقد بعد من كل حثا ، فلتطش لدى ان ترك لها مصادفة النظر ، فبيناه فارتكان وهي في اللؤل من يرك .
ويتب نزار وراء حوريت ، ولا يلقه كيف يابن ان يلوب جمال ذاك الشيء على فتور جفافه ، كان بين رمد القلب بلفايا طلب من بسمة متسبة .

وينتهي الحوار بان يستعين لدى الواجبة على متابعة كتابته .
جميل هذا الحوار ، فيه صق وشعر كثير . كان صاحبه لم يات في حياته عملاً سوى الفراءة ، والشعر ، والهم في اوطان اسبوية لسية . يطالع مباشرة في الحوار راحة ، لا لهيئة معلقة ، ولا ظاهراً اهتمام بل فطحة من الزمن يعيش فيها اديب شجي ، تم بك حالته ولنتهي الفترة ، ولك من الطواف مقاديرها .

على انك اذهب تعميقاً ، لله من مظهر في الكلام ومكنز في لضي ؛ اما البيان فرائق الفطر ، فقد افزع الموضوع في قالب يجمع الى الصفاء ايمان الكتاب بتقاليد القارئ ، فالرشة مر على فسية ، واللفظة للصح .

ان الانطلاقة الشعرية مسبوقة دوماً بالكرتة فلا نلغان القارئ الا معاً .

قد يحسب القاريه الكريم هذه المقدمة غفلة لا داعي لها لان كل ما قيل فيها مسلم به لا شك فيه ولكنني اضطرت الي هذه المقدمة بسببين :

اولهما ان كثيرا من الناس - ومن بينهم بعض المتكلمين - يسنون او يتناسون اهمية الدراسة اللغوية .

وثانيهما ان وفرة من الناس يظنون ان دراسة اللغة لا تصل الى اكتساب نحو وحفظ ونظرا لحديثه او بيت شعر يشرح والى هؤلاء وإذ ذلك تقول ان دراسة اللغة ليس جوابا متعددة من الحياة الانسانية حيث يستعمل اللغويين اللغة . وكل دراسة جادة لتلك الجوانب تقضي فهوما على مشاكل اساسية في حياة الانسان ، ولاهمية الدراسة اللغوية بالغ على بعض العلماء فادعوا ان حل كل مشاكل الانسان على الاطلاق لا يأتي الا من طريق العلم الصحيح للغة (انظر ص ٢٢٢-٢٢٦) .

وعلم اللغة الآن له بعد ينظر الي اللغة على انها نص مكتوب فقط ، ولكنه يدرسه على انها نشاط انساني له دور كبير في المجتمع ويأخذ بذلك مكانته بين العلوم الانسانية المختلفة ، كعلم الاجتماع وعلم النفس والتاريخ والجغرافيا الى غير ذلك .

وبهذا التصور - الاتي بدارسي القرن العشرين - يكتب الدكتور محمود السمران كتابه « علم اللغة » فاقضوا الذي تناوله الكتاب قديم كما اسلفنا ، ولكن العلم في ذاته ويصوره في هذا الكتاب جديد من الجدة غريب على العالم العربي فيما عدا اللغة المتخصصة . ومن عجيب اننا في عالمنا العربي يحسون اشد الحصر على اللغاح بالقرب في مختلف العلوم مثل علم الفلك وعلم الحيوان وعلم الطبيعة ، ولكننا لا نهتم بما حققه علم اللغة من تقدم ان وسائل البحث فيه ومتابعيه وتصورات علمائه من اللغة قد تغيرت كثيرا من الفوسية في العصور القديمة التي ما زلنا نتقيد بالآراء في دراساتها لغة . وفي هذا يقول المؤلف (ص ١٨) : « ان « علم اللغة » الحديث ، بالنسبة الى الفهم اللغوي القديم ، كعلم الطبيعة او الهندسة ، في الفلك او الرياضيات بالقياس الى نظائرها عند اليونان مثلا ، ولكن العجيب في الامر اننا في دروسنا وتدريسنا الطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات لا نجد لمصاحبة او غريبة في ان ندرسها وندرسها كما هي عليه في احدث صورها . اما ما كان منذ القدم من ذلك فتمن نرعى له في نواحي تلك العلوم ، او بقية الوصول الى افكار او اداه او فروع او محاولات موحية خلافة ، فاعلم الجديد ، وهو تطور للعلم القديم ، لا يقضي على القديم ، انه يؤرخ له ، ولا يزال يستوحيه ويستعديه .

وهذا هو الشأن في « علم اللغة » الحديث انه - وهو التنازع الجديد في فهم اللغة ودرستها - يوصي بدارسة جهود اللغويين والتفكير فيها لتاريخه التاريخ الصحيح ، واستحقاقه واستحقاقها .

هذا من العلم ومقارنته بالعلوم الاخرى اما عن كثرة الذين يشتغلون بالعلم متنا فليقول صاحب الكتاب في الصفحة نفسها :

« اما جمهور المشتغلين بالدراسات اللغوية عندنا فليعلم يرغبي التناظر في هذا العلم الجديد ، او لا يعاينوا لاهم ، او يعجب ان ما في يده من علم قد يصل حمله علم حيات واحد من البلاد الغربية » واخرهم قلنا بهذه الدراسة الجديدة والواقعة اللغوية بها من ابناء العربية بعد علم اللغة او بعض فروع ، كعلم الاصوات اللغوية ، « ترافا » عليها لو يؤن الاوان بعد لتفانيس فيه او التطلع اليه ! » ويستمر المؤلف فيقول :

« وهكذا فجمهرة المتكلمين بالدراسات اللغوية متنا لا تزال تدور حول محور قديم ، وقد تسنى فيه او تبسط منه ، ولكنه ليس محور العصر ، بل ذلك نكر او همل لمرات وجهودا وفرة ذاتية . انها في دراستها اللغوية اشبه بالجغرافيا الذي ينتشر بجهوله على اساس الارض مسطحة ، او يشتغل بالأساليب الطبيعية لم تسمح الذاء بقانون الجاذبية ، او باللكي الذي لا تمدو معرفته حرب الجاذبية الاولى » . وبعد مقدمة واضحة عن اهمية العلم للدراسات اللغوية في عالمنا

العربي يأخذ الدكتور محمود السمران في بيان الافراح المختلفة التي تناولها الدراسة في علم اللغة وتتبع من كتابه عدة امور نذكر هنا بعضها مما يزيل اوهاما شائعة :

اولا : ليس علم الاصوات اللغوية هو علم اللغة وإنما علم الاصوات فرع من فروع علم اللغة ، كما ان علم الاصوات ليس قاصرا على التعريف وطريقة النطق في اللهجات المختلفة فهذا جانب واحد من جوانب العلم وقد لا يكون أهم الجوانب ، ولعل من يتوهم بعوض القدماء عن القراءات في القرآن الكريم ثم وصف الحروف العربية من الناحية الصوتية في مثل معجم لسان العرب يدركون ضرورة علم الاصوات لدراساتها العربية . ثانيا : لا يهتم علم اللغة اسبا بلطف نظا المتكلمين بلغة ما الى ما هو صحيح والى ما لا يجوز ان يقال لفظته ، ولا الى طريقة تصحيح النطق او مساعدة للفتن على ان يحسنوا الفناء او مساعدة اطباء الانسان على عمل الانسان والصناعة او مساعدة التكنولوجيات على صنع اجهزة تنقل الصوت بوضوح - كل ذلك قد يعني فيه عالم اللغة بما له من عبيرة بدراسة الاصوات اللغوية خاصة ، ولكن ليس شيئا من ذلك داخل في اساس علم اللغة اتعا موضوع علم اللغة هو ان « بدراسة اللغة » من اجل ذلكا » فعندما ان يدرسه لاجل الدراسة نفسها ، يدرسه دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها « ص ٥٤ » .

ثالثا : لا يعني علم اللغة بلغة بالذات كالعربية او الانجليزية او الالمانية ، ولكنه يقصد الى « التعريف بحقيقة تلك الظاهرة الانسانية العامة التي هي اللغة » ص ٥٢ ، ولذلك فلعلم اللغة يدرسون مجموعة كبيرة من اللغات ليستخرجوا من دراساتهم التصورات العامة عن ذلك النوع من النشاط الانساني وهو اللغة عامة ومن هنا جاءت التسمية علم اللغة العام .

رابعا : ما قد يدرسه المهتمون بالبحث في علم اللغة من اللهجات الاممية ليس مبنيا على حال من الاحوال محاولة الترويج لهذه الامميات او اظهارها حتى يتضح انما هي دراسة علمية فرضها اضافة اضافة حية لا توضح تكريرات العلم العامة ، لم ان هذه الدراسة من الناحية العلمية نوع من البداية لعالمنا العربي من حيث تقدمه في الدراسات المختلفة . اما اذا كان هناك من يدعو الى اضافة العلمية واستعمالها بدل الفصيح فهذا امر اخر مختلف لا صلة له بعلم اللغة على الاطلاق ويخطئه من يعطد بينهما اية صلة .

وقد جعل الدكتور السمران كتابه « مقدمة للقاريه العربي » وهذه ميزة كبيرة فيه ان كل للعلم مراجع كثيرة في اللغات الاوروبية المختلفة ولكن عالمنا العربي مفتقر تماما الى كتب في هذا العلم تكتب بلغة عربية ركيكة عربية وهذا ما نجده في كتاب علم اللغة وفيه كذلك - بجانب الصعوبة العربية التي هو عليها - تطبيق كتع من المبادئ اللغوية العامة على شواهد من اللغة العربية .

وقد عرف في لغة ووضوح بالمدارس المختلفة للبحث في علم اللغة وبامثال الكتب في الانجليزية والفرنسية ، كما نوه بجهود كل من سبقوه الى الكتابة في اللغة في عالمنا العربي الحديث ، هذا فضلا عن الإشارة الى البحوث اللغوية منذ القدماء . ولذلك فقد جاء ليت اراجع بالانجليزية والفرنسية والعربية في اخر الكتاب ذخيرة كثيرة للراجع التي يحتاجها الباحث في افرح علم اللغة المختلفة .

ورغم كثرة فروع علم اللغة وعند المدارس التي كتب اصحابها فيه واختلاف المصطلحات او اختلاف النظم بالاصطلاح الواحد في كل من مدارس البحث من الاخرى فقد استطاع الدكتور محمود السمران ان يقدم لنا في كتابه عيكلا عاما للعلم بكثير من تفاصيله في صورة واضحة للقاريه العربي .

وقد قسم كتابه الى خمسة ابواب يسبقها تمهيد من علم اللغة في الوطن العربي . وابواب الكتاب هي :

الابواب الاول : علم اللغة موضوعه ومفاهيمه من ص ٤١ الى ص ٨٥

الباب الثاني : علم الأصوات الفوقية من ص ٨٩ الى ص ٢٢٠
 الباب الثالث : النحو من ص ٢٢١ الى ص ٢٨١
 الباب الرابع : علم الدلالة أو دراسة المعنى من ص ٢٨٢ الى ص ٢٤١
 الباب الخامس : تاريخ الدراسات اللغوية من ص ٢٤٢ الى ص ٢٨٠
 وقد وضع صاحب الكتاب في فهرسه مواد كتابه بالتفصيل فالتأخر في الفهرس يكاد يعرف ما في كل صفحة ويده الترتيب المبدئي للفهرس على المهرس كل جزئية من الفكرة العامة . والحق أن ترتيب الموضوعات في الكتاب - الذي يدل عليه الفهرس - مثال يعتد في الترتيب العلمي وخاصة في موضوع متشعب مثل موضوع علم اللغة ولتأخذ لذلك مثلا ما جاء في

الباب الثالث : النحو

- ١ - نحن نذكر بجملة .
 لم نخصيات مختلفة من هذا القسم يتبعها
- ٢ - من التحليل الفونولوجي الى التحليل النحوي .
 وبعد التحليل من هذا القسم ايضا يأتي
- ٣ - النحو الوصفي .
 ١ - المورفولوجيا .
 ب - النظم او التنظيم .
 تفاصيل لم
- ج - منهج المورفولوجيا .
 تفاصيل لم
- د - المسائل او الاسماء النحوية .
 (١) تعريفها وتوابعها .
 (٢) « الجنس » .

- ١ - الجنس الفوقي لا يطابق الجنس في الواقع .
- ٢ - الجنس كالأصوات والمعاني خاصص لتفكير .
- ٣ - امتثلة على اختلاف أنساب في التحليل بين الاسماء من حيث الجنس .
 ١ - في العربية .
 ٢ - في الفرنسية .
 ٣ - من بعض اللغات الاسيكية والافريقية .

فالرغم بين شرطتين - ٢ - له معنى في الرمز وسط فوسين (٢) والآن يتخللنا من الرمز متبوعا بشرطة والجميع مختلفة من الرمز متبوعا بشرطة ٢ .

ولا بطن الفارسي الكريم ان هذه مسائل شكلية فهي تدل على وضوح فكرة موضوع الكتاب واستخلاص التفاصيل بدقة مما يجعل قراءة الكتاب سهلة وفهمه يسيرا .

وليس غريبا - والمختور محمود السحران - يكتب عن علم اللغة ان يخرج كتابه دليلا في تبويبه وعرضه فعلم اللغة ذاته يدعو الى دراسة متجنية بديلة متفلة .

ومن مظاهر هذه اللغة الهوامش الكثيرة التي يضعها المؤلف الى كتابه ليجانب جميعا بالخط الرفيع فهي دائما في التوضيح والتناسب وتعرض لموضوعات لها أهمية كبرى في الدراسة ولكنها موضوعية باللغة اللازمة التي لا تعوق وضوح الفكرة العامة في ذهن القارئ .

ومن مميزات الكتاب عدم التحيز لدراسة خاصة من مدارس الدراسات اللغوية عند القريبين وهذه سمة القى نحن في اشد الحاجة اليها ونحن

بسيما البديلة في ارساد قواعد علم اللغة في وقتنا العربي . وبإخا الكتاب معجم لل مصطلحات العربية على حسب الالف ياد

الانجليزية والكتاب ترجمتها الدكتور محمود الى العربية وهذا جهد كبير مشكور يعرفه من يعاونون نقل صراف علم اللغة الى اللغة العربية . ثم هناك ثبت الأراجيح الذي اشترنا اليه أنا وهو غني بأراجيح باللغة العربية والانجليزية والفارسية .

ان مجتمعتنا العربية ما زال مترددا في الالهام على علم اللغة رغم ما كان لإيجادها القدماء - على طريقتهم - من بحوث كثيرة في اللغة لا تكاد تنصن ههنا لتتخللنا عن ركب التقدم الانساني في هذا العلم . وان كتاب الدكتور السحران خطوة واسعة جريئة نحو الأخذ بمبادئ علم اللغة الحديث الذي نحن في اشد الحاجة اليه لتسبر في ركب الحضارة ولتبني وقتنا العربي على الاسس العلمية السليمة .

محمد احمد أبو الفرج

المدرس بجامعة بيروت العربية

الفجر آت

مجموعة شعرية - هائل ناجي - ٢ صفحة - ١ مطبعة

يشرفني تحية الأستاذ في شعره هائل ناجي (١) ويسرني ان احييه واحيي القومية والتحرر في ديوانه . في ديوان الفجرات فضاء لوردية قوية تتم عن روح الكفاح الصلب الى جوار عاطفته الانسانية نحو ابناءه واخوته وفصلاته في العنين الى مراوغ الصيا ومفاتيحها .

لقد جمع الشاعر بين العمودي والجديد في ديوانه . ومن الناحية الفنية فصلت شعره الجديد لاني احيانا لاحتلت صمودية في الغالبية في الفصل العمودي فبعض القوافي في الفصل العمودي رائدة ، مثال ذلك قوله :

والصلوات على توحيدنا
 والعاملون شيئا زاهيا وصبا
 فالصبا هو الشيب . ومثل كلمة « الزاها » فهي ليست شعرية ، وهذا الفاظ شريفة كقوله :

اولي لهم : هل تهد اليه ليرة
 فليارة « حقلنا الابيا » تترية في نظري .
 وهذا لا يتلخ في فصله روائع في الديوان مثل قصيدته (اليد الممدودة) فديما رؤيا شعرية في غاية التأثير والقوة وهي تعال بالصور المؤثرة ، واتني الفصائل من الناحية الفنية ومن الناحية الانسانية لان فيها رؤيا شعرية عظيمة . استمع لي قوله :

« يا يمد زهار فصة - يا نعا نرا من فصة - يا سرب كنار - يا اطفال - في لحكم في حلم الاجيال - لا تسوا ما فعل الاعداء - لا تسوا خلا من سيناه لا تسوا يا مجد الزيتون - يا حلم فلوب ويون - يا اطفال - الجور رسامي ومدافع - حسن عاد الي البيت من الشارع - والقتيل يطيس سرخاته - وفيلار النار المتهدم - ويلبا نار ودخان - ناكل دارا كتلت شتا - لصب شفاء القرصان - ان يضر عيد الانسان . ويشد الجول عيون الطفل الي كف ممدودة - بين الانقاص - كشراع في بحر الاحزان - يومه كالجسم بلا اجفان - وبرهم ليبار ودخان - ورسامي الوف الفيلان يعضي حسن بر القتران - زحفا زحفا - وبقايا نار تكوي جلده - تغرق نوبه لعرق اجفان العينين - تسع خديه وبجيبه - ودخان يدمع عينيه - ويفيرق انداس الرنتين - وجيبني يستأنس - زحفه - ويشد يده على كله - ليصاق كفا ممدودة - ك هزت عهد - الصفر - كم منحت ليدا دارا - كم نقتض لوبا والذرار - وهي اليوم كف تمت الى الله - تساله رد المدوان - من لعت جدار منهدم - في (شرم الشيخ) المهلومة .

وصفري فوق تلك الكف يتنل حثينا - يلثم الكف ويقرقها دموها وايتها واللوعة طلع سرخاته - وتضبح الصرخات الملهة - ما بين دوي واكز - ويسيل الدمع الكدر - من تبع العين الغوار . ويكفين بلون الرتين عند الفجر - بعمر بنسجة الفار - ينشئ تريا .

(١) خلاصة المعاصرة الداعمة من البرنامج الثاني - خاصة بالادبيات -

والدرب بعيد - وعلى غفلة - يهوى عامود محترق - وتكون الآه وداع صباه .

جنتان أبطيا كالقطة - كالقطة ألقت في نغمة - كالقطة نامت في خصلة خدمت منه الإناسي - مان الرأسي إلى الكف المودودة - لينام بسيف في ردفه - كف نام عليها قبل اليوم - لكن الرحلة هذا اليوم - لتعطي إلى الأبد - حتى يبلغ عرش الله - في أملي مخلوك الله - فيض ببراة سوسنة - القصوة كف ممدودة .

وهذا هو المعادل الموضوعي لتصور جسمه الشاعر في رؤيا شعرية ، والذي تصمت منه « الموت » ، والنسق الموسيقي الجديد وحده استطاع التعبير الجيد من هذه الرؤيا .

وكذلك قصيدة « رسالة من لأجده فلسطيني » فيها انفعال فومسي قوي واحساس إنساني عميق وتصير بالغ بالصور :

« وا أبي - ورساتي اليك لا يجعلها الألب - ورافة الصبر - تسال كيف أنت ؟ أين أنت ؟ - مشر من الصين أو تزيد - مفت ونحن نجعل الصبر وبكال التعلق - ونوسنا - واتت في الجيد - في (صمد) كالصمت لا صيد .

فيا أبي - ولو نطق لو نطق أن نطع - لجاهد الأخوة كالطيور كالصبر - لكننا بلا جناح نطبع الصبر - في خيمة تعرفها الشمس في الهجير بعدد الأضمار والرياح لا تور - ورفل الأبر بالجمان بالحرير - ووالف كاسي غمرة تهرق كلاله - ونحن في الرياح نطبع الصبر - في عالم يعيش ممدودا بلا صبر - فلو نطق لو نطق أن نطع - لجاهد الفنية كالطيور كالصبر لكننا وما امر وحشة الصبر - كالطير لكن جنحها كسر .

ورساتي اليك أمواج من العنين - طيش غير التليل في اتين - مجر الوين ونحن ما زلنا على الدروب لأجنين - نرى تراكذ أن تعود بصر الصاء - وكالسام في الريح يجزل الطاء - تنهد النوح من عينيك في سقاء - من فرحة اللقاء أم يا نرى تروبي - واسب في التبر فعلا لجيب تشد جلد كرمك اليك - واتت في التراب - القمرة كصفاة من بستاننا الجليل - لكم كلم اسمعتنا الكثير والقليل من اصفاة جن فلما القليل - من كرمها من ذهب سميل - القصمت مهما كان من تحول - من فيها - يا حافظ القصب - يا والدي يا نغمة الصبر في القصب . فيا أبي ورساتي - لو أن في الديار من يزفها اليك - لو أن في الديار أن فرات الشوق في التنداء في الزين - يا صاعدا الفدية أن يهون - مهما يظفر ليل فانت أنت في العيون .

فيا احبائي الذين في صمد - سألنا أمارة - فقليلوا السلام - يا أخوة الصبر في صمد - مهما يظفر ليل فنحن مالدون - فيا أبي لو كلمة - تقول كيف أنت ؟ أين أنت ؟ - يا صاعدا إلى الأبد - يا مشرق الريح في صمد - لو كلمة فتأسي القلوب - لو كلمة فترا العيون من رعد .

ومن روائع الديوان قصيدة « بظافة عيد إلى أخي » فيها انفعال عاطفي وجداني إنساني مدهش :

« كصلا من صبر - مثل رشاش الطور - مثلما النجمة في القلمة تومي وتبي مثل راف من سونون جاد - من خلف يحور - هذه الأحرف في الشوق صلا من صبر وهي في اليد بظافة - تنطق - تنشق - لقاء الأهل والاطفال - أواه - ونلق - يا أخي - هذه الأحرف لو تدري اشتياق للقاء - وهي نبع من صداد وهي دقات صبية - فلما ما لعت عيناه حرا لا بين - فتناك - أن دمعة لأحرف الشوق اصباحا العنين - فاستصحت في صبر العرف والتدناحت كموجة .

يا أخي أن يسأل الأطفال مني - قل لهم - أتى مسافر - ساعدود - عندما يأتي الربيع - مومدي والزهر والإكمام والطرير الوديع - فامر رب الربيع - وعلى الأفق صباب ودخان - وعطفت هناك - وفرات القلق للشبوب حبا - في العيون المعلقة السود العبية - قل لهم : انسي

مسافر - ساعدود - عندما يأتي الشتاء - فيطيب السمر - زادنا النار وحب الكستناء - وحشايا نمر البلوط في الليل الطويل - وإحاديت الصغار الممتدة - عن إقصايس (أبي زيد الهلالي) يا أخي .

والأ ما حل عيد - وأنا محض خيال في الجيد - قل لهم - انسي ارتفعت - كالقلم - انجم الليل وأنهم - في اشتياق الفجر في ارضي المروية .

والأ ظل أرحتاني وغياي - وعلى أوجه أطفال الصغار - لاج يتم رسته أمين لم تعرف الدلة يوما - لا تدع اندمهم نتمت تريا - فالدموع الغاليات في كلالهم شواها السواد - ارفد الادمع مني بشفاك - فهي بعض الامنيات في الفترابي - ثم قبل ... قبل الأطفال مني يا أخي .

ان فهد القافية يزول في الشعر الحر ، فيعيد الشاعر ، هذا هو احساسه العام والطارع الجديد له قابلية أكثر لذلك .

لقد افرزت لونه الشاعر لاصحاب الكفاح ، وكادت أبكي شموع الوفاء الجميل ، ان التالف ليس نغمة ومشاكسة وحلقته أمام هذه الشعر العظيم الأخر - في هذا الشعر صوفية وتكني بروح الكفاح واستبشار بالجهاد ، فلو أن له صبر جميل وهو يحور ليالي الكفاح بأنها ليالي فيحاء طرفة ، وهو يتحدث من الشهد ليعطيه في إطار الرؤيا الشعرية الراقية بالتصعية وبالوقت لأنه على الجنته فيها التكني الإصيل يبهجه الاستعداد .

شعر (هلال) حائل بالثورة وفد وفق في اختيار الشعر العمودي ونفسه في شعره العاطفي لأن النسق الجديد ليس لشعر كالحائل والعمودي أكثر علامة للقطاعات العاطفية في حين أن القصة العاطفية والرؤيا الشعرية يناسبها الشعر الحر . ان الشاعر عنده احساس اصيل بل ينشأ بالوقوف أكثر منصفية لبعض المواقع وهو يحسن الاختيار والتجيز . وفي استغادي ان شعرنا العربي ينسج للزومين العمودي والحر صا .

تحية لليونان من خب ما صمد عام ١٩٦٢ ، ولعية لاهل ناجي الشاعر الإنسان .

محمد مندور

القاهرة

عيد الرياض ملحمة ليولس سلامة

كانت البلدة هوميروس للنق الصبية في معاهد اليونان كما كان يحفظها القادة العسكريون من ظهر قلب . وبليت تنتقل مع الاسكندر - اينما تنقلت فتوحاته - في صندوق ذهبي يقرأها غايح الدنيا كل أن وبعد فيها غذاءه .

ان الحرب بعد ملحمة يولس سلامة ان يكونوا مقبوضين ان رجوا اليها في كل طمة ، في طلب الفرائد ديوان من الحكم لا يدانيه الا نهج البلاغة والقتال القاتل من آيات المتنبي . وهي لرائد الفكر سجل لعدم ان التصارات الفلسفة الحديثة تدخل لأول مرة على شمس العرب . وهي للاخلاق مذهب بكامله متشكك الاجزاء انتظمت فبساط الاله والكرم والاحكام الردي ، وعلة اللسان ، ونجدة للهوف ، والطموح الذي يمت الحياة في الاشياء حتى تستساقي أي قيمة عربية لم يطلها هذا الشاعر البحر ، كالمها هي متودة للكرة الاولى لوفرة ما اثن الشاعر في اليكسها البريق ، واسماها من خلال اصطكاف السيف . اما لكمملكة العربية السعودية في كل شيء . وفي يابني ان جزيرة العرب تستعدت بعد مئة عام بجاذبات ثلاث تأسيس المملكة على يد عبد العزيز ، واكتشاف منابع البترول ، وملحمة عيد الرياض .

سعيد عطل



- مشتورات مكتبة النهضة ببغداد - مطابع دار التضامن ببغداد .
- الجريمة والحكام والاختيار القضائي - تأليف تشارلز تشوت ومارجوري بل - ترجمة اللواء محمود صاحب - مراجعة وتقديم حسن جلال العروسي - تعديداً المستشار عادل يونس - مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي - ٢٢٤ صفحة - حجم كبير - منشورات دار المعرفة بالقاهرة - مطبعة مصر (٢)
 - العلاقات العامة الناجحة - تحرير جمعية تعليم الكبار الأمريكية - ترجمة مصطفى حسن علي - مراجعة وتقديم العبد سيد عبد العبد مرسي - ١٠٠ صفحة - منشورات وطبع دار الفلم بالقاهرة .
 - كيف تدبر المناقشة - تحرير جمعية تعليم الكبار الأمريكية - ترجمة العبد سيد عبد العبد مرسي - مراجعة وتقديم الدكتور محمد عماد الدين اسماعيل - ٨٠ صفحة - منشورات وطبع دار الفلم بالقاهرة .
 - الموسيقي ، ، شعها واذهبا - تأليف ويتس سبيت - ترجمة حسن محمود - تقديم حسن جلال العروسي - مصمم الغلاف احمد محمد منيب - ٢٢٤ صفحة - منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة - مطبعة مصر (٢)
 - أدباء في الميزان - ترجمة محمد محمد عثاني - تقديم وتعرّف عباس محمود العقاد - ١٢٤ صفحة - منشورات مكتبة الانجلو المصرية (٢) - مطبعة مصر (٢)
 - جنكيز خان وجغافل القول - تأليف هارولد لام - ترجمة ميري أمين - مراجعة وتقديم الدكتور زكي نجيب محمود - مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي - ١٥٦ صفحة - منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - مطابع مؤسسة طباعة الألوان المتحدة بالقاهرة .
 - Amoureux d'une Fée - pièce en deux actes - par Edmond Maouad - 116 pages - Imprimerie Catholique, Beyrouth.
 - Egypte - par Anouar Abdel Malek - 384 pages - Editions du Seuil, Paris - Imprimerie Saverioise, Paris.
 - Muslim Education in Medieval Times - by Bayard Dodge - 122 pages - Edited by The Middle East Institute, Washington, D.C. - The Garamond Press, Baltimore, MD., U.S.A.
 - Arabic Dialect Studies, a selected bibliography - Harvey Sobelman, Editor, Charles A. Ferguson, Richard S. Harrell, R.A.C. Goodison, H. Blanc, T.B. Irving, P.P. Sayden - 106 pages - Center for Applied Linguistics of The Modern Language Association and The Middle East Institute, Washington D.C. - printed in U.S.A.
 - Behind The Mountains - by Oliver La Farge - adapted by Judith K. Reed - 128 pages - Berkley Publishing Corporation, New York.
 - Point Four Assignment - by Russell Davis and Brent Ashabranner - adapted by Cryssie A. Hotchkiss - 128 pages - Berkley Publishing Corporation, New York.
 - Naked Earth - by Eileen Chang - adapted by Aileen T. Kitchin - 128 pages - Berkley Publishing Corporation, New York.
 - The Continuing Struggle, Communist China and The Free World - by Richard Louis Walker - adapted by Adolph Myers - 144 pages - Berkley Publishing Corporation, New York.

- سلامبو او غداة فرطاجه - رواية - تأليف جوستاف فلوبر - ترجمة بولس غانم - مراجعة الدكتور ريمون فرنسيس - ٢٢٤ صفحة - حجم كبير - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة العامة للكتاب والتوزيع والطباعة والنشر - مطابع دار النصر للطباعة والنشر والإعلان بالقاهرة .
- قنوط - مجموعة شعرية - صفاء العبدري - مصمم الغلاف واللوحات الداخلية بتدبير باباجان - ١٢٨ صفحة - مطبعة التمدن ببغداد .
- اعاصير - مجموعة مقالات ونقوش أدبية - تأليف العبد محمد علوان - ٨٢ صفحة - المطبعة المصرية بتونس .
- التديبات - تأليف ميجريت ويليامسون - ترجمة غلاف محمد فؤاد - مراجعة وتقديم احمد زكي محمد - ٦٨ صفحة - منشورات دار المعارف بمصر - مطابع دار المعارف بمصر .
- شعراء العائلة - تأليف ريانى معلوف - ٩٢ صفحة - حجم كبير - منشورات المكتبة الشريفة ببيروت - المطبعة الكاثوليكية ببيروت .
- عمان في معركة الحرية - تأليف عبد الله التليسي - ٧٢ صفحة - معاصرة البيت في المركز الثقافي العربي بدمشق - (لم يذكر اسم المطبعة) .
- ظهور المسيح والهدى - تأليف ابراهيم الكوازي - الجزء الثالث - ٩٦ صفحة - حجم صغير - منشورات أسرة العلوم التنسية والملك - دار مطبعة التمدن ببغداد .
- في المنفى - رواية - تأليف جورج سالم - ١٢٨ صفحة - حجم كبير - منشورات عويدات ببيروت - مطبعة كرم ببيروت .
- نظريات حديثة في التعليم - تأليف الدكتور فاخر عاقل رئيس قسم علم النفس في جامعة دمشق وخبير اليونسكو وقم النفس لدى وزارة التربية والتعليم الأردنية - ٨٢ صفحة - حجم كبير - منشورات مجلة رسالة العلم في عمان - مطابع جمعية عمال الطابع المتأهولة في عمان .
- الكندي الراشد الأول للفلسفة الاسلامية ومفكرة الفكر العربي - تأليف محمد بحر العلوم - تقديم السيد محمد تقي الحكيم استاذ الامول والفقه المازن في كلية اللغة في التوفج - الجزء الاول - الجانب التاريخي - ٢٢٠ صفحة - ساندت جمعية الرباط الادبية في النجف الاشرف على طبعه - مطبعة النجف في النجف .
- بنات العشرين - مجموعة شعرية باللغة العامية اللبنانية - ايليا ابو شديد - مصمم الغلاف اسماعيل شموط - ١٥٨ صفحة - مطابع فوست دار الفن ببيروت .
- التافلة - مجموعة قصص - تأليف محمود الظاهر - مصمم الغلاف محمد سعيد الصكار - ٤١ صفحة - مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ببغداد .
- ادباء ببغداديون في الاندلس - تأليف الدكتور محسن جمال الدين استاذ الادب الاندلسي في جامعة بغداد - ٥٢ صفحة - حجم كبير -

لم تكن الحضارة العربية الإسلامية مجرد موجة عابرة خافت بإسبانيا ثم انحسرت عنها ، وإنما كانت حركة حضارية فعالة خلقت في تلك البلاد دولة اجتمعت لها اسباب القوة والسلطان في الاندلس التي ان كانت يمدولها الجغرافي تترادى اليوم من خلال حجب التاريخ وانكها الفردوس المغفود الذي لم يبق منه الا اطياف الذكري فهي يمدولها الحضاري كيان حي في جسم العالم الاسلامي بما امدته من ثرات ثقافي تعتل في علم علمها وادب كتابها وشعر شعرائها وتفكير مفكرها .

لم هي من ناحية اخرى حلقة اتصال بين الشرق والغرب وذلك بحكم وضعها الثقافي والجغرافي ، فهي جزء من العالم الاسلامي من جهة ولقطة من العالم الاوربي من جهة اخرى ، وهذا الالتقاء مع العالمين هو الذي افسس بها الى ان تكون اقطار الذي انطلق منه اشعاع الحضارة العربية في اوربا .

ولقد حمل العرب معهم الى اسبانيا تراثا حضاريا لا يبلغ شأوه ما عرفته شبه الجزيرة الابيرية ، فمذ مطلع القرن الثامن اخذت الحضارة العربية الاسلامية تتكسف ما عداها من الحضارات ، ولم يمد البحر الابيض المتوسط ببحره رومانية بعد ان انتقلت شواطئه الجنوبية والشرقية والغربية الى ايدي العرب ، واصبحت اسبانيا جزءا من امبراطوريتهم الكبرى يبتشون فيها من حضارتهم ما اثر في كيانها تأثرا قويا نتاول حتى نواحي الحياة .

ففي الجغيتن الاسبانية مظاهر لا سبيل الى تفسيرها الا في ضوء التقاليد والامادات العربية ، بقيت على مر الزمان تشل على تأثير الاسلام رغم زوال سلطانه السياسي والعسكري .

في مقدمة هذه المظاهر الحضامات في اسبانيا في العصور الوسطى . وان احصاء بسيطاً للقرى التي كانت تحتوي على حمامات عامة ، يشكل دليلا واضحا على صدق ما نقول ، فبعض قرى قشتالة التي لا تعرف اليوم الحمامات التي يجري فيها ماء ساخن كانت تضم في القرن الثالث عشر عددا كبيرا من الحمامات العامة وريد ذكرها في نواحي البلدية من ذلك قرىتا « ثوريئا » و « بروهونا » في وادي الحضارة وقرية « اوسكاره » في محافظة بلنسيو ... وما نعت عليه هذه النواحي ان هي صاحب الحمام ان يقدم للداخلين اليه الماء الساخن والصابون والمناشف .

والحمام مظهر اسلامي يرتبط بالثقافة والطهارة في الاسلام ، وللمعجنيين (1) التي كبر في تشييد الحمامات في مناطق قشتالة وليون . وقد بقيت هذه الحمامات الاسلامية الى قريب من القرن السادس عشر ، يرتادها الرجال والنساء والاطفال ، وقد خصص لكل طائفة منهم يوم من ايام الاسبوع حتى لا يقع الاختلاف المفسى الى الفساد . لم اخذت تختفي هذه العادة مع الزمن .

- (1) المدجنون هم المسلمون الذين عاشوا في كتف دولة اجنبية .
- (2) الوريبيكيون هم المسلمون الذين ظلوا يعقبون نسي اسبانيا بطورون النصرانية (تقية) ويظنون الاسلام .

وتلك العفوية التي فرغتها السلطات الحاكمة على الوريبيكيين (2) بسبب الثورة التي اشعلوها في سنة ١٥٦٨ ان تقرر افلاق حماماتهم وخرابتهم منها وقد احتج احد هؤلاء الوريبيكيين « فرانسيسكو » بقوله : « ان الحمامات اقيمت لتكثيف الاجسام وتطهير الابدان ، فلا حرم على الناس الاستحمام فيها ولي التباسيح والانهار والبيوت والى اين يلجئون للاتصال والاستحمام ؟ »

ومن مظاهر الحياة الاسلامية ان يغطي النساء وجوههن ولا يبدن زينتهن . وقد ظل الحجاب شاعرا في اسبانيا اللى القرن السابع عشر ، ففي كثير من مسرحيات ذلك العهد توجد مواقف اساسها ان تكليف المرأة عن وجهها ورأسها كما في مسرحية « ترودي مولينا » التي تحمل عنوان « الفورة من نفسها » ومسرحية كاندورون دي لياركا « المحلى والتجنية » . هذا وكان يحرم على نساء الوريبيكيين ان يرسن سافرات في الطرق العامة ، وكان القوم يستتكون ذلك اذا كانوا يرون في خروج النساء سافرات اناقة للفرصة للنظر الى وجوههن .

ومن بقايا التأثير العربي جلوس النساء على الارض وهي عادة ظلت منتشرة في اسبانيا الى القرن الثامن عشر ، فقد كن يتخطن ما يشيه الكتبة التي لا تدار لتلغ من الارض الا قليلا يغطيها بساط وتستندوا سائد ، وانتقلت هذه الصورة الى الارجنطين مع الاسبان الذين هاجروا اليها . هذا وكان الكتاب المروف « فرانتس » يعلم ان هذه الجلسة مما اجدته الاسبان من المسلمين فصرح بذلك في قصة « دون كيشوته » التي سجل فيها عادات عصره ونقايد .

لا سبيل لتكثيف العدد الكثير من عبارات التجنية وللمجاملة التي تتكشفتها الحياة الاسبانية الا بربدها الى اصول العربية . نورد مثلا على ذلك حين يمدح شخص غرضا او شيئا يراه لدى شخص اخر فيكون جواب هذا : « انه لك » او « اعتبره هدية قدمها اليك » . وهذه العادة لا زالت موجودة حتى اليوم في بعض للتجمعات العربية وكذا في التجمعات الاسبانية . وفي ملحفة « السيد » ان تلك الخونسو لا راي البطل القشتالي التي عليه فكان جوابه « السيد » : « ابي ابيه كولاى ان شاء » .

كما ان من التسلع قولهم « ان شاء الله » لكل امر يتعرضون له في حياتهم اليومية ، كما ان الكلمة الاسبانية التي تعني ذلك هي في اصلها كلمة عربية معرقة « اوفلا » . هذا من ذلك فان الاسبان اذا ما شاهدوا متفرا جيلوا او سمعوا صوتا حسنا فاتهم يذكرون ليل ليل انما شاهدوا للاعجاب كما يفعل جمهور المستمعين في العالم الاسلامي عقب تلاوة آية من آيات الذكر الحكيم من متفري حسن الصوت او قرعة مثالية يصدر بها من جيل الصوت فيردون : الله ، الله ! وقد بقي صدى اللفظ الجلالة هذا في « اوليه » الاسبانية التي يرددها القوم لاهل الجلالة بعصارع من مصارفي الثيران وهو يراوغ الثور ، او برافضة اندلسية تدق الارض بالقدماء على انغام الفيتارة .

ومما يتصل بالتيابح عبارات التعجب عبارات المداء التي يذكر فيها اسم الله مثل « حركك الله وحفظك » . ولا يزال اهل الريف كلما ودع واحد منهم صاحبه قال له : « في سلامة الله » وهو تعبير عربي شائع حتى اليوم .

وتضمن الرسائل الاسبانية صفا تنرد بها كان يفتنم الكتاب رسالته الى ابيه او من هو اكبر منه بقوله : « اقبل ايديكم الكريمة » .

وقد كانت هذه العادة شائعة بين أبناء الريف في إسبانيا أكثر من شيوخها في المدن الكبرى فالأبن يقلد أبه ، والصغير يقلد يد الكبير ، وفي كثير من النصوص الإسبانية ما يدل على انتشار هذه العادة بين الإسبان في القرن السادس عشر .

وإذا قبل أن المسلمين قد أدخلوا هذه العادة عن البيزنطيين أو الفرس فالذي لا شك فيه أن الإسبان المسيحيين قد أخذوها من أهل الاندلس ، وقد ذكر المؤرخ « أمبريكو كاسترو » أن أظهار الخضوع بتقبيل اليد على هذا النحو لا علاقة له أخلاق الأندلس ، بل هو متأسل في تاريخ إسبانيا ويستمد من التقاليد العربية فيها .

● اقتباس ملوك الإسبان وعظماهم من العرب ●

انفردت إسبانيا بين سائر البلاد الأوروبية ببعض التقاليد والعادات التي تجاوزت الحياة العامة إلى الحياة الخاصة للملوك والعظماء . فانطوى السادس ملك قشتالة الذي عاش حقبة من الزمن أثناء منفاه في بلاد الماين من ملوك بني آل النون ملك طليطلة ، كان يلقب المسلمين في كثير من مظاهر حياته ، و جعل من يلقبه فيما بعد صورة ليلاب ملك من ملوك المسلمين وتسمى بالأميراطور ذي اللتين (الإسلام والمسيحية) فكان أول من لقب بذلك من ملوك المسلمين .

وقد عاش في نفس الحقبة مع الملك السابق المذكور الفارس الإسباني المعروف بلقب « السيد » واسمه الحقيقي « رودريجو ديلا » ويتضح من لقبه أنه لقب عربي ، وقد فُسر السطر الأكبر من حياته في كنف ملوك الإسلام ، وذكر ابن بسام في كتابه اللخعة أنه كان « تدرس بين يديه الكتب » وأقرأ عليه سير العرب ، فلما انتهى إلى أخبار الهلب بن أبي صفرة استغله العرب وخلق يحجب منها ويتعجب .

هذا وذكر الرحالة التشيكي البارون دي روزنتال الذي زار إسبانيا في منتصف القرن الخامس عشر ما يلي :

« يلعب في برنثي الآن كوتة ذو شأن دعا الي فصره عددا من السيدات والرجال ، فكان من جملة الحضور استات وسيدات عليهن الحضر الكتياب ليسنها على نحو ما يلعب السلمات لياهن ، وكان في حفاهن وشراهن ولصحن يخلن أيضا مذهب السلمات ، وكان يرقصن رقسا رقسا يابولوب عربي وهن جميعا سمرارات من ذوات العيون السوداء ، ولذاي الكتب أن الكثير من الفرسان الإسبان كانوا يمتطون الحصنة على نحو ما كان يفعل البربر من أبناء زنانه ، ويلبسون الحجة العربية من الحبر المؤش ...

إن هذه المظاهر التي مدناها ليست هي كل ما ورثه المجتمع الإسباني عن العرب بل هي من أهم ما وراوه . فهناك عدا من ذلك عادة غسل البيت قبل دفنه ، وطبيعة التكرم التي يتحلى بها معظم الإسبان ، وأصناف الأقمشة المنقشة من الطبخ العربي ، وميل الآسيان للربط والوسيقى والفناء والمزج ، وتعلقهم الشديد بمصارعة الثيران التي ينسبها البعض إلى أصل عربي دون أن يكون هناك ما يثبت ذلك ، وجو العاطفة الذي يسود مجتمعهم إذا ما قورن ببقية المجتمعات الأوروبية ، وحتى لون البشرة الأسمر السائد بينهم والذي يعتبر أثرا من آثار التزاوج واختلاف الدم .

كل هذه الأمور تظهر لنا بوضوح مدى التأثير العميق الذي كان للعرب في الحياة الاجتماعية في إسبانيا ، حتى أن الزمن لم يستطع أن يعي على الأثر حتى اليوم .

خالد الصوفي

دمشق (الجندي)

« ظلام السجن » للمجاهد العربي محمد علي الطاهر

بين الشاعر العراقي جلال الحنفي ، والشاعر الهجري جورج صيدح دون الجهاد محمد علي الطاهر مذكراته أيام كان سجيناً في مصر ثم

هارباً من السجن خلال الحرب العالمي الثانية قبل عشرين عاماً حيث عاش متجولاً ومتنقلاً في أنحاء مصر أكثر من عام ، ثم أصدر بعد ذلك مذكراته عن تلك الحقبة ونشرها في كتاب بعنوان « ظلام السجن » وقد قرأه كثير من الشعراء وفي مقدمتهم الشاعر العراقي جلال الحنفي بقصيدة نشرها مجلة الشرق الأوسطية وفي :

— وأياك — فيه موقق ورهين
لديه مصاب التاكسات يهون
تنوء بهما للدارعين فنون
على أي وجه في الخفوف يكون
تلفك بالدمر الشديد — معين
يليل به حبل الزجاء معين
لن طاردتهم السن وعيون
إذا راسي جلد الصامدين يلين
إلى الدهر وهم تالفه وقنون
— تلفت أسماع لها — وسكون
رؤي الخوف جنباً بالرجال بين
لها في امتحان المخلصين فنون
على كل فرد حارس وكمين
كذلك من قدر الزمان مصون
فصاغت مظامير لهم وسجون
لتكليم بالبراسه جيسين ؟

رفيع يكس في مدهده وجشين
وما هو إلا بالثناش قمين
ويكرم فيها غاندر وخوعون
لقد كاد يعرف القائلين جنون
دليل على صدق الجهاد مبین
من الصداق ما خلته منك يمين
بها الدهر من ناس سواد فمين
كل الخلق الذي الإصيل خدين
باتك كسز في المرفاه خدين
إذا كتب التاريخ وهو أمين

جلال الحنفي

بغداد

وقد أعجب شاعر المهجر جورج صيدح بقصيدة الشاعر العراقي ، بعد إعجابه هو أيضاً بكتاب « ظلام السجن » وبصاحبه الطاهر ، فبعث بهذه الأيات إلى جريدة « الأيام » العراقية :

عنبت (ظلام السجن) كيف يكون
إذا طوق النجم القمام سفايح
وما السجن إلا مقصد كنهند
تهاب الذئاب القبر ليثا مصلحا
حياتك قرب يعطي القرب نارا
بامعاجها الفتت تراث جودونا
دروسا لطلاب العالي رخصة
وان كتاب الخالدین شروحه
كتاب لحكام البلاد شروحه
(وشورال) في حقل الصحافة قمة
حديثك عنها ذو شجون ، ذكرته
ولولا ما سادت الي مصباتي

وتورد فيه كالمصباح معين
نفاق ، والتجم الخبيص مبين
يعان من مآراء اسم يرين
كان غيايات المسجون — عرين
شراذمنا أن ألتكك لهون
وأصغت مثالا يعتدبه بشون
تعلمهم أن الجهاد فنون
بطولاتهم ، والتسبيحات متون
وتنزل لآليات العباد لمنين
كذلك فوق والصالحين دون
وفي التمس من قطع العديشجون
فعدت أروفي الشعر وهو عرو..

جورج صيدح

باريس

حديث مع القاص فاضل السبائي

في القصة . والجواب ، بعد هذا ، عن افضل كاتب قصة اجنبي ، يبدو لي اشد سموية وايضا على الحيرة ، لكثرة « الفصلا » في دنيا الادب الاجنبية ، ولان لكل منهم عليه الفنى وفلسفته الفكرية وجيله الذي يبرز فيه . ولعل من اعظم كتاب العالم الذين لم تك تخطئ عليهم الازراء تولستوي وتشيفوف من الروس ، وهمنغواي وفولكنر من الامريكيين ، وديكنز من الانكليز ، واما الادب الفرنسي فقمته تشد من كل حد وتتشيل .

« - هل يمكننا ان نقارن مستوانا ادبييا بالمستوى العالي ؟ ومن هم ادباءنا الذين يملقوا هذا المستوى ؟

« - ارفض ميذا المقارنة من اساسه . ليس لان ادبنا اننى مستوى من الادب العالي فحسب ، ولكن ايضا لان ظروف ادبنا الناشئ اثن القرن العشرين غير ظروف ادبهم الذي يملونه فوق ثراث عريق ساهمت في اقامته يقول جبارة على مدى اربعة او خمسة من القرون . وادبنا ان يرتفع الى المستوى اللائق ، ما دام على ادبنا ان يعطى نصف نفسه لعمل او لوظيفة يمتشى منها ليكون له ان يمنح بعض النصف الباقي للادب !

« - ما راياكم بالوجه الجديدة من الادب النسائي ؟

« - نقولن « الوجه الجديدة » فنزولي ادب المرأة عامة الذي بدأ يلف على قدميه بعد جهاد خمسين عاما بذلته في وسير القلمواي ووداد سكاكينى وعاشته بيد الرحمن . حسنا ، ان الوجه الجديدة في الادب النسائي تزحف في مد يتزايد علما بعد عام . هل لي ان اعتقد ان البداية فيه ليلى بعلبكي ؟ قرأت لها « انا احيا » فقلت عندها على نمرود ولم اجد فنا قصصيا . ومنى جيوور تلك خواطر لوربة ملتصبة بميتها تلك المنة الغريبة ، « عقدة المرأة » . وعند خالدة السمان هي الاخرى ثورة ولكن في دمي فني . وكذلك تلك رينه ميودي الومي التي مع الهودو الرصين . وكوليت سهيل ما تزال في ورودها الى شاطئ الذكريات ان تكاد غني الادب النسائي في شوره . وجورجيت جنوني دلفت الى الطريق قبل عام ونحن ننتظر عطاها . ومع خالده هذه الوجهة لا يمكن تكون رأي حاسم . اتنا بانتظار اتسارها لنطمي رايانا ليس في شك في ان اخواننا البنيات الانديات سيضيق به ذرها ، لان « النوايا يفرهن التنا » وحده وحده !

« الصفاء »

ظهر حديثا

داود عمون

ديوان شعر . جمعه وحققه وكتب سيرة الشاعر

يوسف ابراهيم يزبك

مشتورات « اوراق لبنانية » الحدث - لبنان

١ - متى بدأت بكتابة القصة ؟ ولماذا اخترت ميدانها ؟

« - بدأت الكتابة وانا بعد تلميذ في مدرسة التجيز بحلب . افول بدأت الكتابة ، ولم اقل كتابة القصة . واذاكر ان اول ما استهواني من الفنون والادبية من الرسم ، الذي زادته بما يسع تلميذا في التلوين . ثم وجدته ذات يوم وقد اسكنت بالقلم لاحت « قصيدة » مؤرنة مقلدة نعيم من العمال وجداني كنت احسني ايها الدج تحت وعاته ... وهكذا وابتني اولي الشعر اعطاماتي افعل متوليا عن الريشة ... ثم اخذت احاول تدبيج المقالات والدراسات الادبية الصغيرة ، واصل الى القصة تدريجيا دون ان اوعي الاتجاه اليها ، فاسرني في القصة وجعلني انصرف عن الرسم والشعر كليهما ، وقد تم ذلك في العام ١٩٥٠ ...

« - لماذا كان ذلك ، فقلت ادري من حقيقة الا ان نفسي وجدت في القصة مجالا ارحب لتعبير عن الخواطر والانفعالات والاحداث التي تسترعي انتباهي .

٢ - لايلاض انكم من انصار الواقعية ، فهل انتم كذلك ؟ وكيف تلهمون الواقعية ؟

« - انا من انصار الواقعية في القصة . نعم ، وادب القصة يحمل في طياته وفي ظاهره ، رسالة اجتماعية ، رسالة فطوية نابعة من وجدان الاديب لا مفروضة عليه وفق مذهب او معتقد . وما دامت القصة رسالة ، فيجبني لها ان تكون واضحة المحتوى لقرائها ، لسانه القراء . وليس الوضوح وادنى الى التافه في جموعهم من الادب الواقعي الذي لا يملك مائة الاولى من واقع الامة . ونحن اخرج ما تكون ، كما بينت مرة ، الى سلوك سبيل الواقعية في الادب ، دون سواها من السبل ، في مرحلتنا الراهنه الناضجة . واما اتجاه الاساليب البعيدة عن الواقعية ، المتجانية من الموضوع ، الغرقة في متاجات لا يملك وعوها الا الاسخوسن ، فان لقراء العربية ، المنتشرين بين الخليج والصحيل ، مدرهم اذا ما اعتلوا قصورهم من فهم هذا اللون من الوان الادب الملقا ان علينا ، نحن ادباء العرب ، ان نفتح ، اليوم ، من ادب الواقع ، حتى اذا شهدا لفتننا ادبها الحديث الراسخ ، حتى لنا ان نجتاز هذا الادب لكتيب على شاكلة احدث ما توصل اليه الابداع الغربي من مناهب ادبية وفنية ، ومن غوص الى اعماق الفوضى ، والانتكاش بالتفصيل ، والنهل من بحر الاشعور ... ولن ارجو اليوم قط لادبنا ان يتألى بامثال الان سيبليو او فرانسوا سالفان ، فاما نعيم من حضارة قد وصلت الى حد التبع وتؤلن بالانحدار ... واما امتنا العربية ، فانها تعيد بناء صرحها المنهوك ، انها باختصار امة متطلعة متشوقة ، وتحتاج ادبا ينهض واقفيا رصينا في مناهب لا متخلل من قيود الاخلاق . اتني واقفي ، نعم ، وعفري في الواقعية . واتني لآمن ان اهم الواقعية كما فهمها ستندال في « الاحمر والاسود » ويثاق في « اوجيني فراندبه » وفلوير في « مدام بوفاري » ، تسيلا شيئا صادقا عن احساس الوجدان وطابع الفرد ومطعمه ، وسفالة واثرة ، وجبه وكفه ، ومن مختلف التنافضات الاجتماعية وما تولده من الظلم والمفسد والذلل ... ولكن - واجدني ابع على هذا الشرط فهو الاساسي - بالتعبير الفني الصادق

٣ - من هو افضل كاتب قصة عربي في راياكم ؟ وكيف كاتب قصة اجنبي ؟

« - كنت اظن ان السؤال ينبغي ان يطرح هكذا . فليس لمة كاتب افضل من كاتب . لقد نعت ادب القصة العربية بخلل عدد من الرادة الذين حاولوا ، وما زال يفرهم يتابع المحاولة ، النهوض به الى المستوى المطلوب . ان للمزني وتنبور فضلا كبيرا على ادب القصة ، ولولا ما فطاه ونفرهم من اشواط لا كان لتجيب معقول ان يجد الطريق ، بعض الطريق ، مدينا امامه فيبتاع له ان يتابع المسير . واستطيع القول ان الفصل ما بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ معقول في الرواية ويحيى حتى